قرآن كريم وتجويد ١

إعداد

د / زينب محمد بدوى

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية

العام الجامعي

٢٠٢٣/ ٢٠٢٤م

بيانات الكتاب

الكلية : الآداب

الفرقة : الأولى

التخصص: دراسات إسلامية

تاريخ النشر: ٢٠٢٣/٢٠٢٤م

عدد الصفحات: ١٧٦

المؤلف : د زينب محمد بدوى

الرموز المستخدمة

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا،من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، ، ، ، ،

فلقد عُنى علماء المسلمين بكتاب الله عناية لا مثيل لها فجاءت جهودهم متضافرة في الكشف عن بيان معانيه وأسراره وأحكامه، ومن إحدى هذه الجهود التى أسهمت بدورها في خدمة تفسير كتاب الله هو منهج التحليل النحوي لبيان أهمية وظيفة اللغة في تفسير القرآن الكريم وما ترتب عليها من اختلاف العلماء حول مختلف التفاسير الواردة في الآية القرآنية

وتتضمن محتوى الكتاب فصلين وهما كالتالى:

الفصل الأول : أحكام التجويد

الفصل الثانى: دراسة تطبيقية لجزء النبأ (من سورة الأعلى : الناس)

الفصل الأول

أحكام التجويد

معنى القرآن لغةً:

لفظُ قرآن في اللغةِ،مصدرٌ لقَرَأَ، يَقْرَأُ، قراءةً، وقرآناً كالغُفران من غَفَر،وهو مرادف معنىً للقراءة،ومنه قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ *}[1]،أي: قراءته،ثم سُمِّي به الكتابُ المقروء،من باب تسمية المفعول بالمصدر،و(قرأ)الشيءَ(قرءاناً): جَمَعه وضَمَّه،ومنه سُمِّي القرآنُ لأنه يجمع السورَ ويَضُمُّها.

تعريف القرآن اصطلاحاً:

عرَّف الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية والمتكلِّمون القرآنَ بأنه: الكلام المُعجِز المُنزَّل على قلب النبيِّ صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، والمتعبَّد بتلاوته، من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس،وهذا التعريف مع كونه جامعاً للمعنى مانعاً لغيره.[2]

---

[1] سورةالقِيَامَة: آية[١٧-١٨].

[2] مناهل العرفان لمحمد عبد العظيم الزرقاني (٢١/١) .

الإجماع: يقول الشيخ محمد مكي نصر: أما إجماع الأمة فقد اجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على «وجوب التجويد» من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلي زماننا، ولم

يختلف في ذلك أحد منهم.

بيان بعض فضل القرآن وشرف أهله:

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه، والمنقول إلينا نقلا متواترًا. هذا القرآن: هو الكتاب الْمُبِين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الخالدة الباقية المستمرة على تعاقب الأزمان

والدهور إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها.

وهو حبل الله المتين والصراط المستقيم والنور الهادي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم،فيه نبأ ما قبلكم وحكم ما بينكم وخير ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل،من تَرَكَهُ من جبار قصمه الله،ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه

الله،من قال به صدق،ومن حكم به عدل،ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم.

هذا القرآن: هو وثيقة النبوة الخاتمة،ولسان الدين الحنيف، وقانون الشريعة الإسلامية، وقاموس اللغة العربية، هو قدوتنا وإمامنا في حياتنا، به نهتدي، وإليه نحتكم، وبأوامره ونواهيه نعمل، وعند حدوده نقف ونلتزم، وسعادتنا في سلوك سننه واتباع منهجه، وشقاوتنا في تَنَكُّبِ طريقه والبعد عن تعاليمه.

وهو رباط بين السماء والأرض، وعهد بين الله وبين عباده، وهو منهاج الله الخالد، وميثاق السماء الصالح لكل زمان ومكان، وهو أشرف الكتب السماوية، وأعظم وحي نزل من السماء. وباختصار فإن كلام الله سبحانه وتعالى لا يدانية كلام، وحديثه لا يشابهه حديث قال تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} .[1]

ولقد رفع الله شأن القرآن ونوَّهَ بعلوِّ منزلته فقال سبحانه:

{تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى}.[2]

[1] سورة النساء: ٨٧.
[2] سورة طه: ٤.

كما وصفه سبحانه وتعالى بعدة أوصاف مبينًا فيها خصائصه التي مَيَّزَه بها عن سائر الكتب فقال: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} .[1]

وقال أيضًا: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}.[2]

والرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- يبين لنا أن الإنسان بقدر ما يحفظ من آي القرآن وسوره بقدر ما يرتقي في دَرَجِ الجنة وذلك فيما يرويه عبد الله بن عمرو ابن العاص -رضي الله عنهما- عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتِّل كما كنت ترتِّل في دار الدنيا فإن منزلتَك عند آخرِ آيةٍ تقرأُ بها".[3]

---

[1] سورة المائدة: ١٥، ١٦.

[2] سورة النحل: ٨٩.

[3] رواه الترمذي، رقم: ٢٩١٥ في ثواب القرآن، وأبو داود رقم: ١٤٦٤ في الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، ورواه أيضًا أحمد في المسند "٢/ ١٩٢"، وإسناده حسن، انظر جامع الأصول "ج: ٨، ص٥٠٢".

كما يوضح لنا صلى الله عليه وآله وسلم أن قراءة القرآن يطيب بها الْمَخْبَرُ والْمَظْهر فيكون المؤمن القارئ للقرآن طيبَ الباطن والظاهر، إن خبرت باطنه وجدته صافيًا

- ... القرآن كلام الله تعالى، وسبيل هدايته الخلق.

- ... وهو ملاذ الدِّين الأعلى؛ يستند إليه الإسلام في عقائده وعباداته، وحِكَمه وأحكامه، وأخلاقه، وقَصصه ومواعظه.

- ... وهو عماد لغة العرب الأسمى، تَدِين له العربيَّةُ في بقائها وسلامتها، وتستمدُّ منه علومها.

- ... وهو حُجَّة الله تعالى على الخلق، وحُجَّة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزته الخالدة، شاهداً بحقِّ رسالته، دالاًّ على صدق نبوَّته.

- ... وهو كتاب الله الخاتم للوحي، المُنَزَّل على قلب نبيٍّ هو خاتم النبيِّين صلى الله عليه وسلم.[1]

- ... وهو معلِّم الإنسانية جمعاء، بإشارات لعلوم كونية كبرى، ومعارفَ ما زال علماء التجريب إلى يومنا هذا يحارون في دِقَّتها وسَبْقها، وكأن الكون كتابٌ مُشاهَد، والقرآن كتاب مقروء لحقائق هذا الكون.

---

[1] معلم التجويد : د خالد بن عبد الرحمن بن علي١ /٢٤ .

- ... وهو الكتاب الشفيع لأصحابه يوم القيامة، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ».[1]

أما أهله شرَّفهم الله، فتكاد أيضاً فضائلهم أن لا تنحصر، وسأكتفي بإيراد بعضٍ منها:

- ... أهل القرآن هم خير الأمة الإسلامية ومقدَّمُها.

.. قال صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» .[2]

- ... وهم المتبوّئون مرتبةَ الملائكة الكَتَبة، وأدناهم حائز على مضاعفة الأجر.

... قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».[3].

- ... وهم كالأُتْرُجَّة.[4]

---

[1] جزء من حديث أخرجه مسلم؛ كتاب صلاة المسافرين وقَصْرِها (فضائل القرآن وما يتعلق به) ، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم (٨٠٤) ، عن أبي أمامةَ الباهلي رضي الله عنه.

[2] أخرجه البخاري؛ كتاب: فضائل القرآن، باب: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» . برقم (٥٠٢٧) ، وأخرجه أيضاً بلفظ: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» برقم (٥٠٢٨) . وأبو داود؛ كتاب الوتر، باب: في ثواب قراءة القرآن، برقم (١٤٥٢) . والترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في تعليم القرآن، برقم (٢٩٠٧) . وبرقم (٢٩٠٨) ، بلفظ: «خَيْرُكُمْ أَوْ أَفْضَلُكُمْ ... » ؛ جميعُهم عن عثمانَ رضي الله عنه.

[3] أخرجه البخاري؛ كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة عبس، برقم (٤٩٣٧) ، عن عائشة رضي الله عنها. ومسلم؛ كتاب: صلاة المسافرين وقَصْرِها (فضائل القرآن وما يتعلق به) ، باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، برقم (٧٩٨) ، عنها أيضاً. واللفظ لمسلم.

[4] الأُتْرُجَّة: ثمرة معروفة، يقال لها أيضاً: تُرُنْجَة، و «أُتْرُنْجَة» .

، رِيحها طيّبٌ وطَعْمُها طيّب، كما صحَّ وَصْفُهم بذلك في الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ».[1]

- ... وهم ممن جاز اغتباطهم المحمود في الخير.

... قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ».[2]

- ... وهم من يرفع الله منزلتهم في الآخرة حتى يُبلَّغوا منزلة آخرِ آيةٍ يقرؤونها.

... قال صلى الله عليه وسلم: «يُقَالُ - يعني لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ - اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا».[3]

- ... وهم من تنزَّل السكينة عليهم، وتدنو الملائكة عند قراءتهم.

---

[1] جزء من حديث أخرجه البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام، برقم (٥٠٢٠) ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. ومسلم؛ كتاب صلاة المسافرين وقَصْرِها (فضائل القرآن وما يتعلق به) ، باب: فضيلة حافظ القرآن. برقم (٧٩٧) ، عنه أيضاً. واللفظ لمسلم.

[2] أخرجه البخاري؛ كتاب: فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، برقم (٥٠٢٥) ، عن ابن عمر رضي الله عنهما. ومسلم؛ كتاب: صلاة المسافرين وقَصْرِها (فضائل القرآن وما يتعلق به) . باب: فضل من يقوم بالقرآن ويُعلِّمه، برقم (٨١٥) ، عنه أيضاً. واللفظ لمسلم.

[3] أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة (الوتر) ، باب: كيف يُستحب الترتيل في القرآن، برقم (١٤٦٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. والترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ..» برقم (٢٩١٤) ، عنه أيضاً. وقال: هذا حديث حسن صحيح. واللفظ المختار له.

... قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ".[1]

تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لا تَتَوَارَى مِنْهُمْ».[2]

- ... وهم المُقدَّمون للإمامة في الصلاة.

... قال عليه الصلاة والسلام: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى»[3].

- ... وهم الواجب إكرامهم.

... قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ».[4]

- ... وهم، أخيراً وليس آخراً، أهلُ الله وخاصَّتُه.

---

[1] أُسَيْد بنُ حُضيرٍ هو أبو عتيك رضي الله عنه، كما في رواية: «اِقْرَأْ أَبَا عَتِيك» ، عند ابن حبان (١٧١٦) والطبراني في الكبير (٥٦٦) ، وغيرهما.

[2] أخرجه البخاري؛ كتاب: فضائل القرآن، باب: نزول السَّكينة والملائكة عند قراءة القرآن، برقم (٥٠١٨) عن أُسَيْد رضي الله عنه. ويشار هنا إلى أن البخاري بعد إخراجه الحديث بانقطاع السند بين محمد التيمي وأُسَيد رضي الله عنه، عاد فوصله في آخر الحديث بسماع ابن الهاد من عبد الله ابن خبَّاب، عن أبي سعيد الخدري، عن أُسَيد رضي الله عنه. فالتعويل فيه على الإسناد الموصول كما نبَّه على ذلك الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٦٨١/٨) ، والله أعلم.

[3] جزء من حديث أخرجه مسلم؛ كتاب المساجد، باب: مَن أحقُّ بالإمامة؟، برقم (٦٧٣) ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريّ رضي الله عنه.

[4] أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، برقم (٤٨٤٣) ، عن أبي موسى رضي الله عنه. وفي سنده أبو كنانة القرشي - وهو مجهول - عن أبي موسى، وللحديث شواهد يتقوى بها. وقد حسَّنه الأئمة: النووي والعراقي وابنُ حجر رحمهم الله تعالى. انظر: «التبيان» للنووي بتحقيق الأستاذ الأرناؤوط ص (٢٠) .

... قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» ، قيل: من هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ عليه الصلاة والسلام: «أَهْلُ الْقُرْآنِ: أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ».[1]

شرَّف الله أهلَ القرآن وجعلني وإياك - أخي القارئ - ممن يُكرِمهم إجلالاً لمقامه تبارك وتعالى.

٢- فضلُ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ:

إن من أجلِّ العبادات وأعظم القربات إلى الله -سبحانه وتعالى- تلاوة القرآن الكريم، فقد أمر بها سبحانه وتعالى في قوله: {فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}[2]،كما أمر بها النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فيما رواه أبو أمامة –رضي الله عنه- حيث قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه".[3]

وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم بما أعدَّه الله لقارئ القرآن الكريم من أجرٍ كبير، وثواب عظيم وذلك فيما رواه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: "من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده (١٢٧/٣) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم (١٢٣٠٤) . وابن ماجه؛ كتاب: السُّنة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه؛ برقم (٢١٥) عنه أيضاً. والحديث حسَّنه العراقيُّ في تخريج الإحياء (٢٨٠/١) . كما جوّده الألبانيُّ في «الضعيفة» (٨٥/٤) . وقال الذهبيُّ في «الميزان» (٦٢٦/٣) : إسناده صالح. ووافقه الحافظ في «اللسان» (٢٥٤/٥) .

[2] سورة المزمل: ٢٠.

[3] جزء من حديث، أخرجه مسلم في باب: فضل قراءة القرآن.

حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول "الم" حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".[١]

كما بين صلوات الله وسلامه عليه أن من جوَّد القرآن وأحسن قراءته، وصار متقنًا له ماهرًا به عاملا بأحكامه فإنه في مرتبة الملائكة المقربين، وذلك فيما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: "الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاقٌ له أجران"[٢]

كما أن الله -عز وجل- يوضح لنا في محكم كتابه أن الذين يداومون على تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار ويعملون بأحكامه، ويحذرون مخالفته أولئك يوفيهم الله ما يستحقونه من الثواب ويضاعف لهم الأجر من فضله.

يقول سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}[٣].

---

[١] أخرجه الترمذي ح رقم: ١٩١٢، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر"، ورواه أيضًا الدارمي وغيره وهو حديث صحيح، انظر جامع الأصول "ج: ٨، ص٤٩٨".

[٢] أخرجه البخاري ومسلم، وكذا أبو داود والترمذي برواية أخرى، انظر جامع الأصول "ج: ٨، ص٥٠٣".

[٣] سورة فاطر: ٢٩، ٣٠.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تبين فضل تلاوة القرآن الكريم، وتثبت ما لقارئ القرآن الكريم من فضل كبير وثواب عظيم عند الله عز وجل.

٣- أهميةُ تعلُّمِ القرآنِ الكريمِ وتعليمِهِ:

تعليم القرآن الكريم فرض كفاية، وحفظه واجب وجوبًا كفائيًّا على الأمة حتى لا ينقطع تواتره، ولا يتطرق إليه تبديل أو تحريف، فإن قام بذلك قوم سقط عن الباقين، وإلا أَثِمُوا جميعًا[١].

ولقد كان الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- لا يتوانى في إبلاغ من معه من الصحابة بما أنزل عليه من الآيات، وتعليمهم إياها فور نزولها حيث قد أمره الله -جل وعلا- بذلك في قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}.[١]

ومما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، وكتابها أفضل الكتب؛ لذلك كان واجبًا عليها أن لا تألو جُهْدًا في تبليغ القرآن وتعليمه.

والرسول -صلوات الله وسلامه عليه- يبين لنا أن خير الناس وأفضلهم الذي يشتغل بتعلُّم القرآن الكريم أو تعليمه وذلك فيما ثبت عن عثمان بن

[١] سورة المائدة: ٦٧.

عفان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".[1]

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الذي ليس في جَوْفِهِ شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الْخَرِبِ" .[2]

فصاحبُ القرآنِ قلبُه عامرٌ به، يتدبر آيات الله، ويتفكر في دلائل قدرته وعظمته، وبذلك تصفو نفسه، وتجملُ أخلاقه، وترقُّ أحاسيسه، والرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- يخبرنا بأن حفاظ القرآن هم أصفياء الله وخاصَّته وأولياؤه وأنصاره وذلك فيما رواه أنس بن مالك عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: "إن لله أهلين من الناس فقيل من أهل الله فيهم؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصَّتُه" .[3]

٤- آدابُ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ واستماعِه:

لتلاوة القرآن الكريم آدابٌ كثيرة وعديدة حسبنا أن نشير إلى طائفة منها باختصار فنقول:

ينبغي على قارئ القرآن أن يتأدب بالآداب التالية:

---

[1] أخرجه البخاري في فضائل القرآن "٩/ ٦٦، ٦٧"، وأبو داود رقم ١٤٥٢، باب ثواب قراءة القرآن، والترمذي رقم ٢٩٠٩، ٢٩١٠ في ثواب القرآن، انظر جامع الأصول "ج: ٨، ص٥٠٨.

[2] أخرجه الترمذي ح رقم ٢٩١٤ في ثواب القرآن، ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم ١٩٤٧، ورواه الحاكم "١/ ٥٥٤" وصححه، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان وفيه لِينٌ، ومع ذلك فقد قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[3] أخرجه الإمام أحمد، في كتاب فضائل القرآن، كما أخرجه النسائي وابن ماجه والحاكم في مستدركه، وصحَّحه الألباني، انظر: الجامع الصغير، حديث رقم ٢١٦١.

١- أن يستقبل القبلة ما أمكنه ذلك.

٢- أن يَسْتَاكَ تطهيرًا وتعظيمًا للقرآن.

٣- أن يكون طاهرًا من الحدثين.

٤- أن يكون نظيف الثوب والبدن.

٥- أن يقرأ في خشوع وتفكر وتدبر.

٦- أن يكون قلبُه حاضرًا؛ فيتأثر بما يقرأ تاركًا حديث النفس وأهواءها.

٧- يستحب له أن يبكي مع القراءة فإن لم يبكِ يتباكى.

٨- أن يزين قراءته ويُحَسِّنَ صوتَه بها، وإن لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع بحيث لا يخرج به إلى حد التمطيط.

٩- أن يتأدب عند تلاوة القرآن الكريم، فلا يضحك، ولا يعبث ولا ينظر إلى ما يلهي بل يتدبر ويتذكر كما قال سبحانه وتعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}.[١]

---

[١] سورة ص: ٢٩.

كما أن على سامع القرآن الكريم أن يقبل عليه بقلب خاشع ويتفكر في معانيه، ويتدبر في آياته، ويتعظ بما فيه من حكم ومواعظ، وأن يحسن الاستماع والإنصات لما يتلى من قرآن حتى يفرغ القارئ من قراءته، قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.[1]

٥- كيفيةُ قراءةِ القرآنِ الكريمِ:

لقد شرع الله -سبحانه وتعالى- لقراءة القرآن صفة معينة وكيفية ثابتة، قد أمر بها نبيه عليه الصلاة والسلام فقال: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}[2]، أي اقرأه بتؤدة وطمأنينة وتدبر، وذلك برياضة اللسان والمداومة على القراءة بترقيق المرقق وتفخيم المفخم وقَصْرِ المقصور ومدِّ الممدود وإظهار المظهر وإدغام المدغم وإخفاء المخفي وغنِّ الحرف الذي فيه غنة وإخراج الحروف من مخارجها، وعدم الخلط بينها، كل ذلك دون تكلُّف أو تمطيط.

ولقد أكد الله -عز وجل- الفعل وهو "رتِّل" بالمصدر وهو "ترتيلا" تعظيمًا لشأنه واهتمامًا بأمره.

---

[1] سورة الأعراف: ٢٠٤.

[2] سورة المزمل: ٤.

كما قال سبحانه: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً}[1]، أي لتقرأه على الناس بترَسُّلٍ وتمهُّل فإن ذلك أقرب إلى الفَهمِ وأسهل للحفظ، والواقع أن هذه الصفة لا تتحقق إلا بالمحافظة على أحكام التجويد المستمدة من قراءة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- والتي ثبتت عنه بالتواتر والأحاديث

الصحيحة، فلقد ثبت أن أنس بن مالك -رضي الله عنه- سئل كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: "كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم" .[2]

وقد نقلت إلينا هذه الصفة بأعلى درجات الرواية وهي المشافهة حيث يتلقى القارئ عن المقرئ، والمقرئ قد تلقاه عن شيخه، وشيخه عن شيخه وهكذا حتى تنتهي السلسلة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن المؤكد أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قد علَّم أصحابه القرآن الكريم كما تلقَّاه عن أمين الوحي جبريل -عليه السلام- ولقَّنهم إياه بنفس الصفة وحثهم على تعلمها والقراءة بها، فلقد ثبت أن النبي -صلى الله عليه

---

[1] سورة الإسراء: ١٠٦.

[2] أخرجه البخاري، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري "ج: ٩، ص٩١، كتاب فضائل القرآن.

وآله وسلم- سمع عبد الله بن مسعود يقرأ في صلاته فقال: "من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عَبْدٍ".[1]

ولعل المقصد -والله أعلم- أن يقرأه على الصفة التي قرأ بها عبد الله بن مسعود من حسن الصوت وجودة الترتيل ودقة الأداء.

ولقد خصَّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- نفرًا من الصحابة أتقنوا القراءة حتى صاروا أعلامًا فيها منهم:

أُبَي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وغيرهم.

فكان -صلى الله عليه وآله وسلم- يتعاهدهم بالاستماع لهم أحيانًا، وبإسماعهم القراءة

أحيانا أخرى كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة.

[1] رواه أحمد والبزار والطبراني، وفيه عاصم بن أبي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورجال الطبراني رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد للهيثمي "ج: ٩، ص٢٨٧

فلقد ثبت عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لأبي بن كعب: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك" قال: آلله سَمَّاني لك؟ قال: "الله سمَّاك لي" قال أنس: فجعل أُبي يبكي".[1]

كما ثبت عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال لي النبي -صلى الله عليه وآله وسلم: "اقرأ علي القرآن" قلت: أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "إني أحب أن أسمعه من غيري" فافتتحت سورة النساء فلما بلغت: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا}[2]،قال: "حسبُك" فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان".[3]

ويحتمل أن يكون الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- قد أحب أن يسمعه من غيره؛ ليكون عرض القرآن سنة يحتذى بها، كما يحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه وذلك لأن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها.[4]

---

[1] رواه مسلم، في باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، "ج: ٢، ص١٩٥".
[2] النساء: الآية: ٤١.
[3] أخرجه البخاري، في باب: من أحب أن يستمع القرآن من غيره، ح رقم ٥٠٤٩، وله فيه ألفاظٌ أخرى، كما رواه مسلم في باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع، "ج: ٢، ص١٩٥".
[4] انظر فتح الباري "ج: ٩، ص٩٤".

وقال صلى الله عليه وآله وسلم آمرًا الناس بتعلم قراءة القرآن وبتحري الإتقان فيها، بتلقيها عن المتقنين الماهرين: "خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب".[1]

وكل هذا يدل على أن هناك صفة معينة، وكيفية ثابتة لقراءة القرآن لا بد من تحقيقها، وهي الصفة المأخوذة عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- وبها أنزل القرآن، فمن خالفها أو أهملها فقد خالف السنة وقرأ القرآن بغير ما أنزل الله،وصفة القراءة هذه هي التي اصطلحوا على تسميتها بعد ذلك بالتجويد.[2]

٦- أركانُ القراءةِ الصحيحةِ:

القرآن الكريم إنما يُتلقَّى بالرواية، فيرويه الجمع من القراء عن شيوخهم ويتسلسل السند إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ولذلك كان لقبول صحة القراءة ثلاثة أركان:

[1] أخرجه البخاري في باب: القرَّاء من أصحاب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ح رقم ٤٩٩٩، "ج: ٩، ص٤٦".
[2] كتاب قواعد التجويد، للدكتور: عبد العزيز القاري، "ص: ١، ٢" بتصرف.

الأول: صحة سندها بتواتر عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وقد ثبت عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قوله: "القراءة سنة متبعة".[1]

الثانى :موافقتها لوجه من وجوه اللغة العربية ولو ضعيفًا كقراءة ابن عامر في سورة الأنعام في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ}،[2] ببناء الفعل "زُيِّن" للمجهول، ورفع "قتلُ" على أنه نائب فاعل، ونصب "أولادهم" مفعول للمصدر، وجر "شركائِهم" مضافًا إلى المصدر.

ولقد ثبت أن "شركائهم" مرسوم بالياء في المصحف الذي بعثه الخليفة عثمان -رضي الله عنه- إلى الشام.

وقد أنكر هذه القراءة بعض النحاة؛ بحجة أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه لا يكون إلا بالظرف وفي الشعر خاصة، ولكن لما كانت قراءة ابن عامر ثابتة بطريق التواتر القطعي فهي إذن لا تحتاج إلى ما يسندها من كلام العرب، بل تكون هي حجة يرجع إليها ويستشهد بها.

---

[1] انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، "ج١: ص٢١١" حيث يقول: أخرج سعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت قال: "القراءةُ سنةٌ مُتَّبَعَةٌ".

[2] سورة الأنعام: ١٣٧.

الثالث: موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالا، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقًا أو تقديرًا كما في قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[1]،فقراءة حذف الألف تحتمل اللفظ تحقيقًا، وقراءة إثبات الألف تحتمله تقديرًا، وتكون القراءة ثابتة في بعض المصاحف العثمانية دون بعض مثل قوله تعالى: {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[2]،في الموضع الأخير من سورة التوبة بزيادة لفظ "مِنْ" لثبوته في المصحف المكي دون غيره من المصاحف.

الثالث: وإلى هذه الأركان الثلاثة يشير الإمام ابن الجزري في طيبة النشر بقوله:

فكل ما وافق وَجْهَ نَحْوِ ... وكان للرسم احتمالا يَحْوي

وصح إسنادًا هو القرآنُ ... فهذه الثلاثةُ الأركانُ

وحيثما يختلُّ ركنٌ أثبتِ ... شذوذه لو أنه في السَّبْعَةِ

وعلى هذا فإن اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة كانت القراءة شاذة ولا يجوز القراءة بها.

٧- مراتب القراءة:

---

[1] سورة الفاتحة: ٤.
[2] سورة التوبة: ١٠٠.

للقراءة أربعة مراتب: الترتيل، والتَّدْوير، والْحَدْر:

١- **التَّحقيق**: فهو قراءة القرآن الكريم بِتُؤَدَةٍ وطُمأنينة مع تدبر المعاني ومراعاة أحكام التجويد، وهذه المرتبة هي أفضل المراتب الثلاث حيث نزل بها القرآن الكريم[١]، والله -سبحانه وتعالى- أمر نبيه بها فقال: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} .

٢- **الترتيل**: وهو القراءة بتؤدة وطمأنينة، لا بقصد التعليم مع تدبر المعانى، ومراعاة الأحكام.

٣- **التَّدْويرُ**: فهو قراءة القرآن الكريم بحالة متوسطة بين الاطمئنان والسرعة مع مراعاة الأحكام، وهي تلي الترتيل في الأفضلية.

٤- **الْحَدْرُ**: فهو قراءة القرآن الكريم بسرعة مع المحافظة على أحكام التجويد.

وهذه المراتب كلُّها جائزة، وإليها أشار صاحب كتاب لآلئ البيان بقوله:

حدرٌ وتدويرٌ وترتيلُ تُرى ... جميعُها مراتبًا لمن قَرَا

وذكر بعض علماء التجويد مرتبة رابعة، وهي مرتبة التَّحْقيق، وقالوا بأنها أكثر تؤدة، وأشد اطمئنانًا من مرتبة الترتيل، وهي التي تستحسن في مقام

[١] البرهان في تجويد القرآن، للشيخ محمد الصادق قمحاوي، ص٦.

التعليم[1] ،ولكن لا بد أن يحترز معها من التمطيط والإفراط في إشباع الحركات، حتى لا يتولد منها بعض الحروف، ومن المبالغة في الغنات إلى غير ذلك مما لا يصح.

اللحن فى لغة العرب: على معان، والمقصود به فى القراءة للقرآن: الخطأ والميل عن الصواب فى قراءة القرآن.

٢ - أقسامه: له قسمان:

أ- جلى واضح.

ب- خفى مستتر.

٣ - اللحن الجلى الواضح:

تعريفه: خطأ يطرأ على ألفاظ القراءة فيخل بالإعراب والمعنى.

مثاله: قول الله تعالى: وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ [البقرة: ١٢٤] بفتح باء ربه، ويشترك فى معرفته أهل القراءات واللغة.

حكمه: حرام إن تعمده القارئ أو تساهل فيه.

الدليل من الكتاب: قوله تعالى: قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ [الزمر: ٢٨].

[1] القول المفيد، للشيخ محمد مكي، ص١٥.

(١) اللحن الجلي:

لغة: الخطأ الظاهر الواضح واصطلاحا: هو خطأ يطرأ علي اللفظ فيخل بعرف القراءة ومبني الكلمة سواء ترتب علي ذلك إخلال بالمعني أو لم يترتب.

تسميته: سمى جليا لاشتراك كل من القراء وأهل اللغة في معرفته.

مكانه: يكون في: الحروف، والكلمات، والحركات، والسكنات أمثلته:

أولا: في الحروف ويكون ذلك كما يلي:

١ - بإبدال حرف بحرف آخر كإبدال السين بالزاي في كلمة مسجد (مزجد)

٢ - ويكون بزيادة حرف أو إنقاصه، كزيادة واو في بداية الآية في غير موضعها أو انقاصها من موضعها مثل إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ بدلا من (وإنك ...) أو حذف حرف من مبني الكلمة كحذف الألف من (لا) في قوله تعالي لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ فتصبح (لأقسم ....) أو زيادة ألف في نحو عَمَّ يَتَساءَلُونَ فتصبح (عما يتساءلون).

ثانيا: يكون بالكلمات:

١ - بإبدال كلمة مكان كلمة نحو وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* فتصبح (والله عزيز حكيم).

٢ - زيادة كلمة علي الآية نحو وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ [آل عمران: ١٦٧] فتصبح (والله أعلم بما كانوا يكتمون).

٣ - إنقاص كلمة نحو إنقاص كلمة (مؤمنة) من قوله تعالى: أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ أو نحو لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ* بدلا من وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ*.

٤ - تقديم ما يستحق التأخير أو العكس وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ* بدلا من وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

ثالثا: ويكون بالحركات والسكنات

١ - إبدال الضمة بالكسرة من كلمة (رسوله) في قوله تعالى: أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إذ يترتب علي إبدال ضم اللام بكسرها معني بشعا لا يليق.

٢ - إبدال الفتحة من أَنْعَمْتَ* من سورة الفاتحة بالضمة أو الكسرة.

ويقاس علي ذلك كل خطأ يخل بالإعراب وبالتالي يخل بالمعنى.

فهذا ومثله يعد من اللحن الجلي فإن كان في الفاتحة فهو يبطل الصلاة بلا خلاف. فإن لم يخلّ فلا يبطل ولكن صاحبه يأثم أما في غير الفاتحة فلا يأثم صاحبه إلا إذا كان متعمدا فيحرم بالإجماع.

٤ - اللحن الخفى المستتر:

(٢) اللحن الخفي

معناه لغة: الخطأ المستتر غير الظاهر.

ومعناه اصطلاحا: الخطأ المتعلق بعرف القراءة (أي أحكام التجويد ولا يدركه إلا علماء التجويد دون عامة الناس).

تسميته: سمي خفيا لاختصاص علماء القراءة بمعرفته دون غيرهم.

وهو في خفائه ينقسم إلي نوعين:

١) نوع يدركه (عامة القراء) ولا يدركه عامة الناس. كترك حكم من أحكام التلاوة كالإدغام والإخفاء والإظهار والمد والغنة وخلافه.

٢) نوع لا يدركه إلا المهرة المتقنون الضابطون المجودون الذين أخذوا من أفواه الأئمة نحو تكرير الراءات، وتغليظ اللامات والتهاون في ضبط المدود إلى غير ذلك مما سيأتي ذكره في مواضعه بإذن الله تعالى. وهذا النوع من

اللحن الخفي وإن كان غير مخل بالمعنى ولا مقصر باللفظ إلا أنه- كما يقول ابن الجزري[1]: خلل يدخل على اللفظ فيؤدي إلى فساد رونقه ويذهب بحسنه وطلاوته من حيث يجري في اللسان مجرى «الرتّة» أي (العجمة) أو اللّثغة.

يقول ابن الجزري في النشر: (ولا شك أن هذه الأمة كما هم متعبدون بتفهم معاني القرآن، وإقامة حدوده، متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصيغة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها).

وقد بين في كتابه (التمهيد) ما يستفاد من تهذيب الألفاظ وتقويم اللسان بالبعد عن اللحن فقال: «اعلم أن المستفاد بذلك حصول التدبر لمعاني كتاب الله، والتفكر في غوامضه، والتبحر في مقاصده، وتحقيق مراده .... وذلك أن الألفاظ إذا أجليت على الأسماع في أحسن معارضها وأجلى جهات النطق بها، حسبما حث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «زينوا القرآن بأصواتكم» كان تلقي القلوب، وإقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة، والحسن على ما لم يبلغ ذلك المبلغ منها».[2]

[1] التمهيد في علم التجويد/ صحابة، ص ١٨.
[2] التمهيد في علم التجويد/ صحابة، ص ٦.

حكمه: النوع الأول: وهو ترك شيء من أساسيات قواعد التجويد كالإظهار والإدغام وغيرهما حكمه التحريم على الأرجح لأنه قد انتفت معه صحة القراءة.

النوع الثاني: ويختص بكمال إتقان النطق لا بتصحيحه، وضبط مقادير المدود ووزنها بأدق الموازين، ومراعاة المعاني الخفية في الوقوف، مما لا يدركه إلا أهل الفن الحذاق المهرة فهو أخف حكما ويعتبر في عرف المجودين مخلا بالإتقان وحكمه الكراهة إلا إذا تعمده القارئ.

وقد صنف العلماء الناس الذين يقرءون كتاب الله ثلاثة أصناف:

الأول: قارئ محسن مأجور: وهو الذي أتقن فنّ التجويد بغير لحن جلي ولا خفي فهذا هو الماهر بالقرآن الذي وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه مع السفرة الكرام البررة.

الثاني: قارئ مسيء آثم: وهو القادر على دراسة علم التجويد والإلمام بقواعده وتطبيق تلك القواعد عمليا في قراءته. وقد يملك كل ما يعينه على ذلك من سلامة جهاز النطق وخلوه من العيوب والعاهات الخلقية ولكنه رغم ذلك متهاون متواكل متكاسل يتّكل على ما ألف من حفظه مستعينا

بنفسه مستبدا برأيه مستكبرا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه.

الثالث: قارئ مسيء معذور: ومنه مثلا من كان في مكان لا يوجد به عالم بالتجويد ولا معلم كالمغترب النائي ببلد يندر فيها أن يجد من يعلمه (وإن كانت الدول الأجنبية تعج الآن بالعديد من المراكز الإسلامية ودور التحفيظ لشتى طوائف المسلمين) أو أن يكون القارئ بلسانه عوج أو عيب خلقي يحول بينه وبين النطق السليم وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة. فهذا قارئ معذور غير آثم لأنه رغم ذلك العيب يدرس ويجاهد لتصويب قراءته فهو في ذلك ليس معذورا فحسب بل هو أيضا مأجور ضعف أجر القارئ المعافى في نطقه ومخارج حروفه،لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران».

أحكام الاستعاذة والبسملة

أولا: الاستعاذة

قال تعالى: {فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ}[1]

حكم ذكرها قبل القراءة:

[1] سورة النحل: آية[٩٨].

ذهب جمهور من العلماء وأهل العلم إلى أن الأمر بالاستعاذة في الآية الكريمة على سبيل الندب، وذهب بعضهم إلى أنه على سبيل الوجوب (١) واحتجوا بأن الأصل في الأمر الوجوب ما لم توجد قرينة فى الآية. وأيا ما كان الأمر واجبا أو مندوبا فلا شك أن الإتيان بها قبل القراءة لا بدّ وأنه عائد بالخير والبركة على قائلها.

صيغتها: المختار والمشهور عند جميع القراء: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وهى أكثر الصيغ التزاما .

معنى الاستعاذة: أعتصم بالله وألجأ إليه وأحتمى به من الشيطان الرجيم.

محل الاستعاذة: قبل القراءة لقوله تعالى: فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ، ولا خلاف بين العلماء فى أن الاستعاذة ليست من القرآن الكريم .

مواضع الجهر بالاستعاذة:

لا خلاف بين أهل الأداء (ومنهم حفص) فى الجهر بها فى موضعين هما:

١ - عند افتتاح القراءة جهرا بحضور من يسمع.

٢ - إذا كانت القراءة بالدور وكان القارئ هو المبتدئ بالقراءة.

مواضع الإسرار بالاستعاذة فى غير الصلاة:

يقول ابن الجزرى فى النشر: ومن المواضع التى يستحب فيها الإخفاء:

١) إذا قرأ القارئ سرا.

٢) إذا قرأ خاليا سواء قرأ جهرا أو سرا.

٣) إذا اقرأ فى الدور ولم يكن فى قراءته مبتدئا يسرّ بالتعوذ لتتصل القراءة ولا يتخللها أجنبى [١]، فإن المعنى الذى من أجله استحبّ الجهر وهو الإنصات فقد فى هذه المواضع.[٢]

ثانيا: البسملة

هى ذكر اسم الله تعالى عند بدء القراءة.

صيغتها: ليس لها سوى صيغة واحدة هي: (بسم الله الرحمن الرحيم).

---

[١] يقصد بالأجنبي «الاستعاذة» لأنها ليست من القرآن الكريم.

[٢] الإتيان بالبسملة يجب في كل سور القرآن الكريم عدا سورة (براءة)، والأسباب بالتفصيل سيأتي ذكرها لا حقا بإذن الله.

والبسملة اختصار لقولنا (بسم الله الرحمن الرحيم)، معناها: أبتدئ ببركة اسم الله الرحمن الرحيم، وفى ذلك استبراء مما كان يفعله المشركون من ابتدائهم أفعالهم باسم اللات والعزى وغيرهما من آلهتهم وأصنامهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع».[1]

«ومعنى أقطع أى مقطوع الذنب أو الذيل .. أى عمل ناقص فيه شىء ضائع .. لأنك حين لا تبدأ العمل ببسم الله قد يصادفك الغرور والطغيان بأنك أنت الذى سخرت ما فى الكون ليخدمك .. وحين لا تبدأ العمل ببسم الله .. فليس لك عليه جزاء فى الآخرة فتكون قد أخذت عطاءه فى الدنيا وبترت أو قطعت عطاءه فى الآخرة .. فإن كنت تريد عطاء الدنيا والآخرة فأقبل على كل عمل بسم الله .. ».[2]

حكمها: أجمع العلماء على أن البسملة جزء آية من سورة النمل فى قوله تعالى: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم). ثم اختلفوا بعد

[1] رواه السيوطى فى الجامع الصغير، وعزاه لعبد القادر الرهاوى فى أول كتاب (الأربعين) عن أبى هريرة بإسناد حسن، ورواه ابن كثير فى تفسيره بلفظ «فهو أجذم».
[2] تفسير الشعراوي، ج ١، ص ٤٣.

ذلك فى كونها آية مستقلة أنزلت للفصل بين السور مرة واحدة، أو هى آية من سورة الفاتحة، ومن كل سورة ... إلخ.

ويرى البعض «ومنهم ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن خبير والشافعى وأحمد فى أحد قوليه» **أن البسملة آية من الفاتحة** ومن كل سورة لأن السلف أثبتوها فى المصحف مع الأمر بتجريد القرآن مما ليس منه، ولذا لم يكتبوا «آمين»، فثبت بهذا أن البسملة جزء من الفاتحة ومن كل سورة، ويرى آخرون أن **البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقالوا إنها آية فذة** [1] من القرآن أنزلت للفصل والتبرك للابتداء بها. ومن حججهم أنها لو كانت آية من الفاتحة ومن كل سورة لما اختلف الناس فى ذلك،ولما اضطربت أقوالهم فى كونها آية من كل سورة، أو من الفاتحة فقط .[2]

حكم البسملة مع القراءة

أولا: عند الافتتاح بأول السورة:

إذا أراد القارئ أن يفتتح قراءته بأول سورة من السور (سوى سورة براءة) يستحب له أن يأتى أولا بالاستعاذة، ثم البسملة، ثم يبدأ القراءة.

[1] فذة: مفردة مستقلة.
[2] التفسير الوسيط: د. محمد سيد طنطاوى، ج ١ ص ١٧

ثانيا: عند القراءة من غير أول السورة:

للقارئ أن يأتى بالبسملة بعد الاستعاذة وله إن شاء أن يتركها ويكتفى بالاستعاذة.

تعريف التنوين:

التنوين لغة: التصويت. واصطلاحا: نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا، وتفارقه خطا ووقفا.[1]

تعريف النون الساكنة: هى التى لا حركة لها، وتثبت فى اللفظ والخط والوصل والوقف.

الفرق بين النون الساكنة والتنوين:

والفرق بين النون الساكنة والتنوين يكون من خمسة أمور تظهر بتأمل التعريفين السابقين، وهى:

(١) النون الساكنة حرف أصلى من حروف الهجاء، والتنوين زائد.

(٢) النون الساكنة ثابتة لفظا وخطا، والتنوين ثابت فى اللفظ دون الخط.

[1] (١) ولا يكون إلا فى الأسماء. ،ينظر العميد فى علم التجويد ١٥/١ .

(٣) النون الساكنة ثابتة وصلا ووقفا، والتنوين ثابت فى الوصل دون الوقف.

(٤) النون الساكنة تكون فى الأسماء، والأفعال، والحروف، والتنوين لا يكون إلا فى الأسماء دون الأفعال والحروف. ويستثنى من ذلك نون التوكيد الخفيفة التى لم تقع إلا فى موضعين فى القرآن وهما وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ بيوسف، لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ بالعلق. فإنها نون لاتصالها بالفعل لا تنوين، وإن كانت غير ثابتة خطا ووقفا كالتنوين، فهى إذا نون ساكنة شبيهة بالتنوين.

(٥) النون الساكنة تكون متوسطة، أى فى وسط الكلمة، ومتطرفة أى فى آخرها. والتنوين لا يكون إلا متطرفا أى فى آخر الكلمة.

تعريف الإظهار:

الإظهار لغة: البيان. واصطلاحا: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة فى الحرف المظهر.

حروف الإظهار الحلقى:وحروف الإظهار الحلقى ستة هى حروف الحلق: (الهمزة- والهاء- والعين- والحاء- والغين- والخاء)،

مجموعة فى قول الجمزورى:

همز فهاء، ثمّ عين حاء ... مهملتان، ثمّ غين خاء

سبب الإظهار:

سبب إظهار النون الساكنة والتنوين عند ملاقاة هذه الحروف هو التباعد بين النون والتنوين وهذه الحروف فى المخرج والصفة.

- للإظهار مراتب ثلاثة:

أ- أعلى مرتبة ظهورا: عند حرفى الهمزة والهاء؛ لأنهما يخرجان من أقصى الحلق.

ب- أوسط مرتبة ظهورا: عند حرفى العين والحاء؛ لأنهما يخرجان من وسط الحلق.

ج- أدنى مرتبة ظهورا: عند حرفى الغين والخاء؛ لأنهما يخرجان من أدنى الحلق.

وجه تسميته إظهارا حلقيا:

وإنما سمى ذلك الإظهار إظهارا لظهور النون الساكنة والتنوين عند ملاقاة هذه الحروف، وإنما سمى حلقيا لأن الحروف الستة المتقدمة تخرج من الحلق.

أمثلة الإظهار:

وفيما يلى أمثلتها:

الحرف/ مع النون الساكنة في كلمة/ مع النون الساكنة في كلمتين/ بعد التنوين

حرف الإظهار/ الأمثلة مع النون من كلمة/ الأمثلة مع النون من كلمتين/ الأمثلة مع التنوين:

ء/ يَنْأَوْنَ / وَمَنْ أَعْرَضَ / كُلٌّ آمَنَ

هـ/ الْأَنْهارُ* / مِنْ هادٍ* / فَرِيقاً هَدى

ع/ أَنْعَمْتَ* / هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ / رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ*

ح/ وَتَنْحِتُونَ* / تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ / مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

غ/ فَسَيُنْغِضُونَ / مِنْ غِسْلِينٍ / خالِقٍ غَيْرُ

خ/ وَالْمُنْخَنِقَةُ / مِنْ خَيْرٍ* / وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ

تعريف الإدغام:

الإدغام لغة: إدخال الشيء فى الشيء. واصطلاحا: التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة.

حروفه: ستة، جمعها صاحب التحفة فى كلمة: (يرملون).

٤ - أقسامه: له قسمان:

أ- إدغام بغنة.

ب- إدغام بغير غنة.

٥ - حروف الأول: أربعة حروف هى «ينمو»، فإذا أتى حرف منها بعد النون الساكنة والتنوين، شريطة أن تكون النون الساكنة فى نهاية الكلمة الأولى والحرف بداية الكلمة الثانية يكون الإدغام، أو بعد التنوين ولا يكون إلا من كلمتين أيضا.

صور الإدغام بغنة وأمثلتها:

وعلى هذا فصور الإدغام بغنة ثمانية، لأن لكل حرف من حروفه صورتين إحداهما مع النون الساكنة فى كلمتين، والأخرى بعد التنوين، واثنتان فى أربعة بثمانية، وفيما يلى أمثلتها:

الحرف/ مع النون الساكنة في كلمتين/ بعد التنوين

الياء/ مَنْ يَعْمَلْ*/ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ*

النون/ مِنْ نِعْمَةٍ*/ أَمَنَةً نُعاساً

الميم/ مِنْ مالِ اللَّهِ/ آياتٍ مُبَيِّناتٍ*

الواو/ مِنْ والٍ/ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ*

حرفا الإدغام بغير غنة، وحكم النون الساكنة والتنوين قبلهما:

وأما الإدغام بغير غنة فيختص بحرفين فقط وهما" اللام والراء" الباقيان من حروف" يرملون" بعد إسقاط حروف" ينمو" منها فإذا وقع أحدهما بعد النون الساكنة فى كلمتين أو بعد التنوين وجب إدغامهما فيه بغير غنة عدا النون فى (/ من راق/) لما فيها من السكت المانع من الإدغام.

صور الإدغام بغير غنة وأمثلتها.

وعلى هذا فصوره أربع، لأن كل حرف من حرفيه يقع مع النون مرة ومع التنوين أخرى، فلكل حرف صورتان، والاثنتان فى اثنين بأربع، وفيما يلى أمثلتها:

الحرف/ مع النون الساكنة في كلمة/ بعد التنوين

اللام/ مِنْ لَبَنٍ/ سائِغاً لِلشَّارِبِينَ

الراء/ مِنْ رَبِّهِمْ*/ غَفُورٌ رَحِيمٌ*

الإقلاب لغة: تحويل الشيء عن وجهته. يقال: قلب الشيء: أى حوّل عن وجهته.

واصطلاحا: وضع حرف مكان حرف آخر، وهو عبارة عن قلب للنون الساكنة ونون التنوين ميما خالصة لفظا لا خطا قبل حرف الباء مع الغنة والإخفاء.

حروفه : له حرف واحد: هو [الباء].

فإذا أتت الباء بعد النون الساكنة من كلمة أو من كلمتين، أو بعد التنوين ولا يكون إلا من كلمتين يجب إقلاب النون ميما.

حرف الإقلاب/ مع النون من كلمة/ مع النون من كلمتين/ مع التنوين من كلمتين الباء/ الْأَنْباءِ* / وَمِنْ بَعْدُ* / سَمِيعٌ بَصِيرٌ*

وجه الإقلاب: عسر الإتيان بالنون الساكنة ونون التنوين للإظهار والإدغام للثقل عند النطق. وذلك للاختلاف فى مخرج الباء والنون الساكنة.

الإخفاء لغة: الستر. يقال: اختفى الرجل عن أعين الناس، أى استتر عنهم.

واصطلاحا: النطق بحرف ساكن عار من التشديد بين صفتى الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة.

مراتب الإخفاء: ثلاثة:

أ- أقرب حروف الإخفاء مخرجا من النون الساكنة ثلاثة أحرف، هى: الطاء- الدال- التاء.

ب- أبعد حروف الإخفاء مخرجا من النون الساكنة حرفان، هما: القاف- الكاف.

ج- أوسط حروف الإخفاء مخرجا من النون الساكنة العشرة أحرف الباقية.

حرف الإخفاء/ له خمسة عشر حرفا مع النون من كلمة/ مع النون من كلمتين/ مع التنوين الثاء/ وَالْأُنْثى * / مَنْ ثَقُلَتْ* / قَوْلًا ثَقِيلًا

الكاف/ الْمُنْكَرَ* د/ فَمَنْ كانَ* د / كِراماً كاتِبِينَ

الجيم/ أَنْجَيْناكُمْ* / إِنْ جاءَكُمْ* / خَلْقٍ جَدِيدٍ*

الشين/ إِنْشاءً / إِنْ شاءَ اللَّهُ* / رَسُولًا شاهِداً

القاف/ انْقَلَبُوا* / وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا / كُتُبٌ قَيِّمَةٌ

السين/ الْإِنْسانَ* / مِنْ سُلالَةٍ* / وَرَجُلًا سَلَماً

الدال/ عِنْدَهُ* / مِنْ دَابَّةٍ* / قِنْوانٌ دانِيَةٌ

الطاء/ يَنْطِقُونَ* / مِنْ طِينٍ* / شَراباً طَهُوراً

الزاى/ تَنْزِيلُ* / مَنْ زَكَّاها / صَعِيداً زَلَقاً

الفاء/ أَنْفَقْتُمْ* / مِنْ فَضْلِ اللَّهِ*/ خالِداً فِيها*

التاء/ وَكُنْتُمْ* / إِلَّا مَنْ تابَ* / نِعْمَةٍ تُجْزى

الضاد/ مَنْضُودٍ* / مِنْ ضَرِيعٍ / عَذاباً ضِعْفاً*

الظاء/ فَانْظُرْ* / مِنْ ظَهِيرٍ / قُرىً ظاهِرَةً

المد

لغة: الزيادة؛ لقوله تعالى: وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ [نوح: ١٢] أى يزدكم.

واصطلاحا: معناه فى اصطلاح القراء: إطالة زمن الصوت بحرف من أحرف المد أو اللين الآتى ذكرهم عند ملاقاة السبب.

القصر لغة: الحبس والمنع، ومنه قوله تعالى: حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ [الرحمن: ٧٢] أى محبوسات فيها.

واصطلاحا: معناه فى اصطلاح القراء: إثبات حرف المد أو اللين من غير زيادة عليه.

أحرف المد: ثلاثة:

أ- الألف.

ب- الواو.

ج- الياء: وكلها جمعت فى لفظ [واى] (١).

شروط المد مع الأمثلة:

الألف تكون ساكنة وقبلها مفتوح مثل: وَسارَ [القصص: ٢٩].

الياء تكون ساكنة وقبلها مكسور مثل: الرَّحِيمِ* [الفاتحة: ٣].

الواو تكون ساكنة وقبلها مضموم مثل: تَعْلَمُونَ* [التكاثر: ٥].

وتجتمع حروف المد بشروطها فى كلمة: نُوحِيها [هود: ٤٩].

فائدة: المد لا ينفرد عن اللين، فكل حرف مد حرف لين ولا عكس.

أقسام المد: له قسمان:

أ- مد أصلى.

ب- مد فرعى.

تعريف كل قسم ومقدار مده:

أ- **المد الأصلى**: هو المد الطبيعى الذى لا تقوم ذات حرف المد إلا به، ويكفى فيه وجود أحد أحرف المد الثلاثة [واى]، ولا يوجد همز قبل حرف المد، ولا بعده همز أو سكون.

ويسمى مدّا طبيعيّا[١].

مقدار مده: حركتان [١] وصلا ووقفا.

[١] لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيد عن حد مده ولا ينقص عنه.

ب- **المد الفرعى:** هو المد الزائد على المد الأصلى لسبب من أسباب المد.

٣ - أسباب المد الفرعى- وهى موجباته: اثنان:

أ- لفظى.

ب- معنوى.

فاللفظى اثنان:

١ - الهمز.

٢ - السكون.

والمعنوى: قصد المبالغة فى النفى كمد التعظيم[٢] فى لا النافية فى كلمة التوحيد نحو: لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ* [محمد: ١٩]، لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ [الأنبياء: ٨٧].

ويسمى مد المبالغة؛ لأنه طلب للمبالغة فى نفى الألوهية عما سوى الله تعالى.

٤ - أنواعه: خمسة:

الهمز: سبب لثلاثة أنواع من المدود:

أ- المد المتصل.

---

[١] الحركة فى عرف القراء: مقدار زمن قبض أو بسط الأصبع لا مسرعا ولا متأنيا.

[٢] هذا المد من قبيل المد المنفصل لا يقرأ به لحفص على القصر حركتان من طريق الشاطبية، وإنما تجوز القراءة بالقصر من طريق الطيبة.

ب- المد المنفصل.

ج- المد البدل.

السكون: سبب لنوعين من المد:

أ- المد العارض للسكون.

ب- والمد اللازم.

تعريف المد المتصل: أن يأتى بعد حرف المد همز متصل به فى كلمة واحدة.

حكمه: وجوب مقدار مده على مقدار المد الطبيعى اتفاقا عند كل القراء، وكل حسب مذهبه.

سمى متصلا: لاتصال حرف الهمز بحرف المد فى كلمة واحدة.

مقدار مده: أربع حركات أو خمس فى حالتى الوصل والوقف، ويزاد ست حركات وقفا إذا كانت الهمزة طرفا.

الأمثلة: مع أحرف المد:

الألف نحو: شاءَ* [عبس: ١٢].

الواو نحو: السُّوءَ* [النساء: ٤].

الياء نحو: مَرِيئاً [النساء: ٣].

٧ - الشاهد من التحفة: قال صاحبها:

فواجب إن جاء همز بعد مد ... فى كلمة وذا بمتّصل يعد

تعريف المد المنفصل: هو أن يقع حرف المد فى نهاية الكلمة وحرف الهمز فى بداية الكلمة الثانية.

٢ - حكمه: الجواز؛ لجواز قصره ومده. وخلاف القراء فى المنفصل حالة الوصل لزوال سببه بالوقف.

٣ - سمى منفصلا: لانفصال السبب، وهو الهمز عن حرف المد؛ ولأن كلا منهما فى كلمة.

٤ - مقدار مده: يمد أربع حركات أو خمس.

٥ - الأمثلة:

الألف نحو: بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ* .

تعريف المد البدل: أن يتقدم حرف الهمز على حرف المد ولا يكون بعد همز أو سكون.

حكمه: الجواز؛ لجواز قصره وتوسطه ومده، لغير (حفص) فليس له إلا القصر.

سمى بدلا: لأن حرف المد فيه مبدل من حرف الهمز غالبا.

والسبب فى الإبدال خفة النطق؛ لأن النطق بهمزتين- مفتوحة فساكنة- فيه ثقل. فتبدل الهمزة الثانية حرف مد من جنس الحركة السابقة.

ما يناسب الإبدال: الهمزة المفتوحة يناسبها الألف.

الهمزة المكسورة يناسبها الياء.

الهمزة المضمومة يناسبها الواو.

وإلى ذلك أشار الشاطبى رحمه الله قال:

وإبدال أخرى الهمزتين لكلّهم ... إذا سكنت عزم كآدم أوهلا

٤ - شرط المد البدل: ألا يكون بعد حرف المد همز أو سكون.

هذا فى تعريف البدل. فإن فقد الشرط نحو الأمثلة الآتية:

فى قوله تعالى: (برآء) [الممتحنة: ٤] يكون مدا متصلا؛ لأن سببه أقوى، ويلغى المد البدل ولا يعمل به.

فى قوله تعالى: (المآب) [آل عمران: ١٤] يكون عند الوقف مد عارض للسكون؛ لأنه الأقوى ولا يعمل بالبدل.

فى قوله تعالى: آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ [المائدة: ٢] يكون مدّا لازما؛ لأنه أقوى من المد البدل.

فى قوله تعالى: وَجاؤُ أَباهُمْ [يوسف: ١٦] يكون مدا منفصلا؛ لأنه أقوى من المد البدل.

القاعدة: إذا اجتمع مدان فى كلمة سبب أحدهما قوى والآخر ضعيف يعمل بالقوى ويترك الضعيف.

فائدة: ما لا يكون حرف المد فيه بدلا من الهمزة: مثل قرآن [الإسراء: ٧٨] مَسْؤُلًا* [الإسراء: ٣٤] لأن ما ذكر يعتبر شبيها بالبدل، ولأن حرف المد أصلى وليس مبدلا من الهمزة.

وإلى هذا أشار الشاطبى بقوله:

سوى يا إسرائيل أو بعد ساكن صحي ... ح كقرآن ومسئولا اسألا

٥ - مقدار مده: لحفص حركتان فقط.

٦ - الأمثلة مع أحرف المد:

الألف: آمَنُوا* [العصر: ٣].

الواو: أُوتُوا* [البينة: ٤].

الياء: إِيماناً* [الفتح: ٤].

٧ - الشاهد من التحفة: قال صاحبها:

أو قدّم الهمز على المدّ وذا ... بدل كآمنوا وإيمانا خذا

تعريف المد العارض للسكون: أن يأتى بعد حرف المد أو اللين ساكن حال الوقف.

حكمه: الجواز؛ لجواز قصره حركتين وتوسطه أربع حركات، والمد المشبع ست حركات.

سمى عارضا: لعروض حرف المد بعروض السكون للحركة وقفا.

مقدار مده: حركتان أو أربع أو ست.

الأمثلة:

الألف: وَرَأَيْتَ النَّاسَ [النصر: ٢].

الواو: وَما يَشْعُرُونَ* [النمل: ٦٥].

الياء: لِلْمُتَّقِينَ* [القلم: ٢٤].

الشاهد من التحفة: قال صاحبها تشبيها له بالمنفصل:

ومثل ذا إن عرض السّكون ... وقفا كتعلمون نستعين

- **تعريف المد اللازم:** أن يأتى بعد حرف المد أو اللين سكون لازم فى الوصل أو الوقف فى كلمة أو حرف.

سمى مدا لازما: للزوم مده ست حركات عند كل القراء وصلا ووقفا، أو للزوم السكون فى الوصل والوقف.

أقسام المد اللازم: ينقسم إلى قسمين وكل منهما ينقسم إلى قسمين:

أ- مد لازم كلمى مثقل.

ب- مد لازم كلمى مخفف.

ج- مد لازم حرفى مثقل.

د- مد لازم حرفى مخفف.

مقدار مده: ست حركات لكل أقسامه، وصلا ووقفا.

حكم المد اللازم: اللزوم؛ للزوم مده بلا تفاوت عند كل القراء وصلا ووقفا.

الأمثلة:

كلمى مثقل مثل: الْحَاقَّةُ* [الحاقة: ١].

كلمى مخفف مثل: آلْآنَ* [يونس: ٥١، ٩١] موضعا سورة يونس فقط.

حرفى مثقل اللام من: الم* [البقرة: ١].

حرفى مخفف الميم من: الم*.

حرف لين العين من: كهيعص [مريم: ١].

الشاهد من التحفة: قال صاحبها:

أقسام لازم لديهم أربعة ... وتلك كلمىّ وحرفىّ معه

كلاهما مخفّف مثقّل ... فهذه أربعة تفصّل

تفصيل الكلام على أقسام المد اللازم:

أولا: المد اللازم الكلمى المثقل

تعريفه: أن يأتى بعد حرف المد حرف ساكن مدغم وجوبا.

علامته: أن يكون بعد حرف المد حرف مشدد.

مقدار مده: ست حركات لجميع القراء .

الأمثلة:

أحرف المد مع السكون المدغم:

الألف: نحو دَابَّةٍ* [هود: ٦]، ونحو الطَّامَّةُ [النازعات: ٣٤].

الواو: نحو تَأْمُرُونِّي [الزمر: ٦٤].

الألف والواو فى كلمة أَتُحاجُّونِّي [الأنعام: ٨٠].

فأصل ذلك كما قال ابن غلبون: فى أصل كلام العرب لا فى القرآن [الطاممة] و [الصاخخة] فسكنوا الحرف الأول وأدغموه فى الثانى.

فائدة:

لم يأت فى القرآن مثال للياء.

سمى مثقلا: لوجود التشديد بعد حرف المد ويكون فيه ثقل.

ثانيا: المد اللازم الكلمى المخفف

تعريفه: أن يأتى بعد حرف المد حرف ساكن بلا تشديد فى كلمة.

علامته: أن يكون الحرف الذى بعد حرف المد ساكن.

مقدار مده: ست حركات وصلا ووقفا لجميع القراء.

الأمثلة:

قوله تعالى: آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ [يونس: ٥١].

قوله تعالى: آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ [يونس: ٩١]. ولا يوجد سواهما فى القرآن الكريم.

سمى مخففا: لأن الحرف الساكن بعد حرف المد أخف من الحرف المدغم.

سمى كلميا: لوجود حرف المد مع الحرف الساكن فى كلمة.

الدليل من التحفة: قال صاحبها:

فإن بكلمة سكون اجتمع ... مع حرف مدّ فهو كلمىّ وقع

كلاهما مثقّل إن أدغما ... مخفّف كلّ إذا لم يدغما

تنبيه:

فى القرآن الكريم عدد من المواضع تمد ست حركات وجوبا، أو تسهيلها مع القصر، والمراد به عدم المد، وهذه المواضع هى:

قوله تعالى: آلذَّكَرَيْنِ* موضعا سورة [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

قوله تعالى: آلْآنَ* موضعا سورة [يونس: ٥١، ٩٠].

قوله تعالى: آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ موضع سورة [يونس: ٥٩].

قوله تعالى: آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ موضع سورة [النمل: ٥٩].

وأشار إلى ذلك ابن الجزرى رحمه الله فى الطيبة فقال:

وهمز ووصل من كا آلله أذن ... أبدل لكلّ أو فسهّل واقصرن

وإلى ذلك أشار الشاطبى فقال:

وإن همز وصل بين لام مسكّن ... وهمزة الاستفهام فامدده مبدلا

فللكلّ ذا أولى ويقصره الّذى ... يسهّل عن كلّ كالآن مثّلا

ثالثا: المد اللازم الحرفى المثقل

تعريفه: أن يجتمع حرف المد مع الحرف الساكن فى حرف.

ضابطه: أن يوجد حرف فى فواتح بعض السور، هجاؤه على ثلاثة أحرف وسطها حرف مد والثالث ساكن.

يوجد فى فواتح بعض السور.

حروفه: ثمانية، جمعت فى كلم [كم عسل نقص]، وفى قول بعضهم: [نقص عسلكم].

شرطه مع الأمثلة:

أن يدغم الحرف الساكن فيما يليه مثل الم* [البقرة: ١] ألف لام ميم، فلام من الم* مد لازم حرفى مثقل لإدغام الميم الساكنة فى الميم المتحركة.

سمى مثقلا: لإدغام الحرف الساكن فى المتحرك.

أما حرف (ع) من فاتحة مريم والشورى ففيه الوجهان:

أ- المد المشبع ست حركات، أسوة بزميلاتها حروف [كم عسل نقص].

المد أربع حركات؛ لأن العين وسطها حرف لين أما بقية أخواتها فوسطها حرف مد ولين. وحرف المد ولين أكثر ليونة من حرف اللين فهذا سبب التفاوت فى وجهى المد.

سمى حرفيا: لاجتماع المد والسكون فى حرف.

سمى لازما: للزوم مده عند كل القراء ست حركات من غير نقص.

تنبيه:

[الميم] من الم. اللَّهُ أول سورة آل عمران، وصلا، فيها وجهان:

أ- المد المشبع ست حركات؛ مع فتح الميم نظرا إلى الساكن الأصلى، وهو المفضل.

ب- القصر حركتان؛ نظرا للحركة العارضة.

وفى الوصل تفتح الميم للتخلص من التقاء الساكنين مراعاة لتفخيم لفظ الجلالة؛ لأن الميم لو كسرت لرققت لام لفظ الجلالة فالتفخيم أولى من الترقيق.

٩ - وإلى ذلك أشار صاحب الكنز فقال:

ومدّ له عند الفواتح مشبعا ... وإن طرأ التّحريك فاقصر وطوّلا

للكلّ وذا فى آل عمران قد أتى ... .

وإلى المد اللازم الحرفى أشار صاحب التحفة فقال:

واللازم الحرفىّ أوّل السّور ... وجوده وفى ثمان انحصر

يجمعها حروف كم عسل نقص ... وعين ذو وجهين والطّول أخص

المد اللازم الحرفى المخفف

١ - تعريفه: أن يجتمع حرف المد مع الحرف الساكن فى حرف هجاؤه على ثلاثة أحرف وسطه حرف مد غير مشدد.

٢ - حروفه: ثمانية، هى مجموعة فى كلم: [كم عسل نقص].

٣ - الأمثلة:

قوله تعالى: الر* فلام من [ألف لام را] مد لازم حرفى مخفف لعدم إدغام حرف الميم الساكنة فى حرف الراء.

٤ - سمى مخففا: لعدم الإدغام.

٥ - مقدار مده: ست حركات.

٦ - سمى لازما: للزوم مده عند كل القراء ست حركات من غير نقص.

٧ - سمى حرفيا: لاجتماع حرف المد والسكون فى حرف من أحرف المد الواقعة فى فواتح السور.

٨ - مجموع الحروف التى فى أوائل السور: هى أربعة عشر حرفا.

جمعها صاحب التحفة فى هذا الكلم: [صله سحيرا من قطعك].

وفى قول بعضهم: [طرّق سمعك النّصيحة].

٩ - أقسامها: أربعة:

القسم الأول: ما يمد مدا مشبعا ست حركات وهى ثمانية أحرف [كم عسل نقص] لوجود السبب وهو اجتماع حرف المد واللين مع السكون فى حرف.

القسم الثانى: حرف العين من فاتحة مريم والشورى. المد المشبع ست حركات، والتوسط أربع حركات والسبب وسط حرف العين- حرف لين.

القسم الثالث: ما يمد مدا طبيعيا حركتين وهى خمسة حروف جمعت فى: [حىّ طهر].

القسم الرابع: ما لا مد فيه: وهو حرف الألف والسبب أن وسطه ليس حرف مد؛ لأنه هكذا: [ال ف] فوسطه حرف لام غير ساكن.

١٠ - الشاهد من التحفة: قال صاحبها رحمه الله:

وما سوى الحرف الثّلاثىّ لا ألف ... فمدّه مدّا طبيعيّا ألف

وذاك أيضا فى فواتح السّور ... فى لفظ حىّ طاهر قد انحصر

ويجمع الفواتح الأربع عشر ... صله سحيرا من قطعك ذا اشتهر

فائدة: عدد فواتح السور مجمعة اتفاقا:

بيانها: أوائل السور الآتية:

حم*: عددها: سبعة، بيانها:

١ - سورة غافر.

٢ - فصلت.

٣ - الشورى.

٤ - الزخرف.

٥ - الدخان.

٦ - الجاثية.

٧ - الأحقاف.

الم*: عددها: ستة، بيانها:

١ - أول سورة البقرة.

٢ - آل عمران.

٣ - العنكبوت.

٤ - الروم.

٥ - لقمان.

٦ - السجدة.

الر*: عددها: خمسة، بيانها:

١ - أول سورة يونس.

٢ - هود.

٣ - يوسف.

٤ - إبراهيم.

٥ - الحجر.

طسم*: عددها: اثنان، بيانها:

١ - أول سورة الشعراء.

٢ - القصص.

طس: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة النمل.

المر: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة الرعد.

المص: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة الأعراف.

كهيعص: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة مريم.

طه*: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة طه.

يس*: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة يس.

ص*: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة ص.

ق*: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة ق.

ن*: عددها: واحد، بيانها:

أول سورة ن.

يتبين مما ذكر أن الحروف الهجائية واقعة فى أوائل تسع وعشرين سورة:

ثلاث سور تبدأ بحرف واحد وهى: ص- ق- ن.

تسع سور تبدأ بحرفين وهى: طه- طس النمل- يس- حم- السبع من غافر للأحقاف سوى الشورى.

ثلاث عشرة سورة تبدأ بثلاثة أحرف وهى: الم*- البقرة- آل عمران- العنكبوت- الروم- لقمان- السجدة.

الر* أول يونس- هود- يوسف- إبراهيم- الحجر.

طسم* أول الشعراء- وأول القصص.

سورتان تبدئان بأربعة أحرف وهى: المص أول الأعراف، والمر أول الرعد.

سورتان تبدئان بخمسة أحرف وهى: كهيعص أول مريم، وحم. عسق أول الشورى.

الوقف

الوقف لغة: الكف والحبس. يقال: كفّ عن الكلام: أى حبس عنه.

واصطلاحا: قطع الكلمة عما بعدها مقدارا من الزمن مع التنفس وقصد العودة إلى القراءة فى الحال، ويكون فى آخر السورة، وفى آخر الآية، وفى أثنائها، ولا يكون وسط الكلمة.

أقسام الوقف فى ذاته، وتعريف كل منها، ووجه تسميته باسمه، وحكمه:

ثم إن الوقف ينقسم فى ذاته إلى ثلاثة أقسام: اضطرارى واختبارى بالباء الموحدة، واختيارى بالياء المثناة.

فأما الوقف الاضطرارى فهو: ما يعرض للقارئ أثناء قراءته بسبب ضرورة ملجئة إليه كالعطاس، وضيق النفس.

وسمى اضطراريا: لأن سببه الضرورة والاضطرار.

وحكمه: أنه يجوز للقارئ الوقف على أية كلمة حتى تنتهى الضرورة التى دعته إليه، ثم يعود إلى الكلمة التى وقف عليها فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها ويستمر فى قراءته إن صلح الابتداء بما وقف عليه، وإلا فبما قبله مما يصلح الابتداء به.

وأما الوقف الاختبارى: فهو أن يقف القارئ على كلمة ليست محلا للوقف عادة فى مقام التعليم لبيان حكمها من حيث القطع، والوصل، والحذف والإثبات، ونحو هذا، أو للإجابة على سؤال طلب إليه به بيان شىء من ذلك.

وسمى اختباريا: لحصوله فى بعض أحواله إجابة على اختبار.

وحكمه: الجواز على أن يعود إلى ما وقف عليه، فيبتدئ به ويصله بغيره مما بعده، ويستمر فى قراءته، إن صلح الابتداء بما وقف عليه، وإلا فبما قبله مما يصلح الابتداء به كالوقف الاضطرارى تماما.

وأما الوقف الاختيارى: فهو أن يقف القارئ على كلمة باختياره دون عروض ضرورة ملجئة للوقف، ولا تعليم حكم من الأحكام، ولا إجابة على سؤال يتطلبه.

وسمى اختياريا: لحصوله بمحض اختيار القارئ دون ضرورة ولا إجابة على اختبار.

وحكمه: أنه قد يعود إلى الابتداء بما وقف عليه فيصله بما بعده أو يبتدئ بما بعد الكلمة التى وقف عليها على ما سيأتى بيانه تفصيلا.

تعريف الوقف التام، ووجه تسميته تاما، وصوره وحكمه:

أما الوقف التام فهو: الوقف على كلام تام فى ذاته غير متعلق بما بعده لفظا ولا معنى.

وسمى تاما لتمام الكلام به، واستغنائه عما بعده، ويوجد غالبا فى أواخر السور، وأواخر القصص، كالوقف على الرحيم من قوله: وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

تعريف الوقف الكافى، ووجه تسميته كافيا، وصوره وحكمه:

وأما الوقف الكافى فهو: الوقف على كلام تام فى ذاته متعلق بما بعده فى المعنى دون اللفظ.

وسمى كافيا: للاكتفاء به، واستغنائه عما بعده.

وصوره أربع لأنه قد يكون على رءوس الآى كالوقف على قوله تعالى:

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً، أو قريبا من رأس الآية كالوقف على قوله تعالى: فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا، وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ، أو فى وسط الآية كالوقف على قوله تعالى: فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي، أو قريبا من أول الآية كالوقف على قوله تعالى:

وَعَلاماتٍ، وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً.

وحكمه أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده كالتام، وهو أكثر الوقوف الجائزة ورودا فى القرآن، وقد يتفاوت مقدار كفايته فالوقف على قوله تعالى:

وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ كاف، والوقف على قوله تعالى: يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ أكثر كفاية منه. والوقف على قوله تعالى: ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ أكثر كفاية منهما.

تعريف الوقف الحسن، ووجه تسميته حسنا، وصوره وحكمه:

وأما الوقف الحسن فهو: الوقف على كلام تام فى ذاته متعلق بما بعده فى اللفظ والمعنى معا. كأن يكون متبوعا وما بعده تابعا له، أو مستثنى منه وما بعده مستثنى.

وسمى حسنا: لأنه يحسن الوقف عليه.

وصوره أربع لأنه قد يكون على رءوس الآى كالوقف على الْمُؤْمِنِينَ من قوله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، أو قريبا من رأس الآية كالوقف على قوله تعالى: قُمِ اللَّيْلَ، أو فى وسط الآية كالوقف على قوله تعالى لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ أو قريبا من أول الآية كالوقف على قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ أول فاطر.

وحكمه: أنه يحسن الوقف عليه، ولا يجوز الابتداء بما بعده إذا كان الوقف على غير رأس آية اتفاقا. وإنما يعود القارئ إلى الكلمة التى وقف عليها فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها إن صلح الابتداء بها، وإلا فبما قبلها مما يصلح الابتداء به. وأما إذا كان الوقف على رأس آية فإنه يسن الوقف عليه كما تقدم، ولكن لا يجوز الابتداء بما بعده اتفاقا إلا بثلاثة شروط، وهى:

(١) ألا يوهم الوقف على رأس الآية، والابتداء بما بعده خلاف المعنى المراد.

(٢) أن يفهم مما بعد رأس الآية الموقوف عليه معنى.

(٣) ألا يكون ما بعد رأس الآية تابعا لمتبوع فى الآية التى وقف على رأسها.

تعريف الوقف القبيح، ووجه تسميته قبيحا وصوره، وحكمه:

وأما الوقف القبيح فهو: الوقف قبل أن يتم الكلام فى ذاته كالوقف بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، والمضاف والمضاف إليه، ونحو ذلك، وسمى قبيحا: لقبح الوقف عليه، إلا لضرورة وصوره أربع لأنه قد يكون على رءوس الآى كالوقف على قوله تعالى: إِنَّ هؤُلاءِ لَيَقُولُونَ، أو قريبا منه كالوقف على لفظ الجلالة من قوله: فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ، أو فى وسط الآية

كالوقف على خَيْرٍ، من قوله تعالى: وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ، أو قريبا من أول الآية كالوقف على الْحَقُّ* من قوله تعالى: الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ*.

وحكمه: أنه لا يجوز الوقف عليه، إلا لضرورة كضيق النفس، فإن وقف عليه ابتدئ بالكلمة التى وقف عليها إن صلح الابتداء بها وإلا فبما قبلها مما يصلح الابتداء به.

الوقف الشاذ الذى لا يجوز:

ومن الوقوف المنصوص عليها فى بعض الكتب ما يجب تجنبه لشذوذه نظرا إلى إيهامه خلاف المعنى المراد، وإن رآه بعض الناس مقبولا لعدم تأمل المعنى المقصود من الآية فى جملتها. وذلك كالوقف على قوله تعالى: قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا، وهو شاذ لا يجوز.

الفصل الثانى

دراسة تطبيقية جزء النبأ (من سورة الأعلى : الناس)

أولاً :سورة :الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)

سبب نزول السورة :

روى جعفر ابن مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: إِنَّ لله تعالى ملكا يقال له حزقيائيل، لَهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ، مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، فَخَطَرَ لَهُ خَاطِرٌ: هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُبْصِرَ الْعَرْشَ جَمِيعَهُ؟ فَزَادَهُ اللَّهُ أَجْنِحَةً مِثْلَهَا، فَكَانَ لَهُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ،

مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ. ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلَكُ، أَنْ طِرْ، فَطَارَ مِقْدَارَ عِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَلَمْ يَبْلُغْ رَأْسَ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ. ثُمَّ ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُ فِي الْأَجْنِحَةِ وَالْقُوَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَطِيرَ، فَطَارَ مِقْدَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يَصِلْ أَيْضًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلَكُ، لَوْ طِرْتَ إِلَى نَفْخِ الصُّوَرِ مَعَ أَجْنِحَتِكَ وَقُوَّتِكَ لَمْ تَبْلُغْ سَاقَ عَرْشِي. فَقَالَ الْمَلَكُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ.

التفسير:

قوله تعالى{سبّح اسم ربك الأعلى} نزّه ذات ربّك من السُّوء وقيل: معناه: قل: سبحان ربّي الأعلى، {الذي خلق فسوَّى} خلق الإنسان مُستوي الخلق، {والذي قدَّر فهدى} قدَّر الأرزاق ثمَّ هدى لطلبها، {والذي أخرج} من الأرض {المرعى} النَّبات، {فجعله غثاء} يابساً وهو ما يحمله السَّيل ممَّا يجف من النَّبات {أحوى} أسود بالياً، {سنقرئك} سنجعلك قارئاً لما يأتيك به جبريل عليه السَّلام من الوحي {فلا تنسى} شيئاً وهذا وعدٌ من الله سبحانه لنبيّه عليه السَّلام أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيءٌ، {إلاَّ ما شاء الله} أن ينسخه وقيل: إلاَّ ما شاء الله وهو لا يشاء أن تنسى {إنَّه يعلم

الجهر} من القول والفعل {وما يخفى}،{ونيسِّرك لليسرى}أَيْ: نُهوِّن عليك الشَّريعة اليسرى وهي الحنيفيَّة السَّمحة، {فذكر} فَعِظْ بالقرآن {إن نفعت الذكرى} التَّذكير، {سيذكر} سيتَّعظ {من يخشى} الله، {ويتجنبها} ويتجنب الذكرى ويباعد عنها {الأشقى} في علم الله، {الذي يصلى النار الكبرى} الذي يدخل جهنَّم، {ثمَّ لا يموت فيها ولا يحيا} لا يموت فيها موتاً يستريح به من العذاب ولا يحيا حياةً يجد فيها روح الحياة، {قد أفلح} صادف البقاء في الجنَّة {مَنْ تزكَّى} أكثر من العمل الصالح، {وذكر اسم ربه فصلى} أَيْ: الصَّلوات الخمس، {بل تؤثرون} تختارون {الحياة الدنيا}،{والآخرة خير وأبقى} من الدُّنيا، {إن هذا} الذي ذكرت من فلاح المُتزكّي وكون الآخرة خيراً من الدُّنيا {لفي الصحف الأولى} مذكورٌ في الكتب المتقدِّمة، {صحف إبراهيم وموسى} يعني: ما أنزل الله عليهما من الكتب .[1]

[1] الوجيز :١/١١٩٤:١١٩٥.

ثانيا: سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)

سميت بالغاشية :أَنَّهَا الْقِيَامَةُ لأنها تغشى الناس بشدائدها، وكل ما أحاط بالشيء من جميع الجهات فهو غاش له قال الله تعالى يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [العنكبوت: ٥٥] وقال وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ [إبراهيم: ٥٠] .

التفسير:

مكية وهي ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحد وثمانون حرفا، قوله عزّ وجلّ: هَلْ أَتاكَ أي قد أتاك حَدِيثُ الْغاشِيَةِ يعني القيامة، سمّيت غاشية لأنها تغشى كل شيء بأهوالها، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ يعني يوم القيامة خاشِعَةٌ يعني ذليلة، والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل، ولأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان، فعبر به عنه. عامِلَةٌ ناصِبَةٌ قال ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وأصحاب الصوامع، لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلال بل يدخلون النار يوم القيامة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، أما الرواية فإنها تشتمل على كل عامل في دين الإسلام، أو غير دين الإسلام فإنه مردود عليه إذا لم يكن تابعا لنبينا صلّى الله عليه وسلّم. وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار. : {تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} أي: شديدًا حرها، تحيط بهم من كل مكان، تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون إليها ورودا

عطاشا، فهذا شرابهم، وأما طعامهم فـ {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة نسأل الله العافية.

وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة {نَاعِمَةٌ} أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور.

{لِسَعْيِهَا} الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله، {رَاضِيَةٌ} إذ وجدت ثوابه مدخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه، وذلك أنها {فِي جَنَّةٍ} جامعة لأنواع النعيم كلها، {عَالِيَةٍ} في محلها ومنازلها، فمحلها في أعلى عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة.

{قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة.

{لا تَسْمَعُ فِيهَا} أي: الجنة {لاغِيَةً} أي: كلمة لغو وباطل، فضلا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن [نافع] مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، و [على] الآداب المستحسنة (٢) بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

{فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ} وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنى أرادوا.

{فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ} و " السرر " جمع " سرير " وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

{وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} أي: وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفوها بأنفسهم. {وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} والزرابي [هي:] البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب. يقول تعالى حثًا للذين لا يصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا

في مخلوقات الله الدالة على توحيده: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} أي: [ألا] ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها.

{وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ} بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض (١) وثباتها عن الاضطراب، وأودع فيها من المنافع [الجليلة] ما أودع.

{وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} أي: مدت مدًا واسعًا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها. واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة ، فيكون كرويًا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة. {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث مسيطرًا عليهم، مسلطًا موكلا

بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} . وقوله: {إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} أي: لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله {فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ} أي: الشديد الدائم، {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} أي: رجوع الخليقة وجمعهم في يوم القيامة. {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} فنحاسبهم على ما عملوا من خير وشر.[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن ٩٢١/١:٩٢٢.

ثالثا: سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

سميت بالفجر:لأن المراد نفسه صَلَاةِ الْفَجْرِ وَإِنَّمَا أَقْسَمَ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ لِأَنَّهَا صَلَاةٌ فِي مُفْتَتَحِ النَّهَارِ وَتَجْتَمِعُ لَهَا مَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَمَلَائِكَةُ اللَّيْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً [الْإِسْرَاءِ: ٧٨] أي تشهده مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ.[١]

التفسير:

مكية وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسعون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا، فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو [عشر] ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها.

وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.

---

[١] مفاتيح الغيب ١٤٨/٣١.

وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها.

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة.

{هَلْ فِي ذَلِكَ} المذكور {قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} أي: [لذي] عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

{أَلَمْ تَرَ} بقلبك وبصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية، وهي {إِرَمَ} القبيلة المعروفة في اليمن {ذَاتِ الْعِمَادِ} أي: القوة الشديدة، والعتو والتجبر.

{الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا} أي: مثل عاد {فِي الْبِلادِ} أي: في جميع البلدان [في القوة والشدة] ، كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} .

{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن، {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ} أي: [ذي] الجنود الذين

ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد ما يراد إمساكه بها، {الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ} هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال:

{فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} وهو العمل بالكفر وشعبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرسل وصد الناس عن سبيل الله، فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوبًا وسوط عذاب، {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} لمن عصاه يمهله قليلا ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

وأنه إذا {قدر عَلَيْهِ رِزْقُهُ} أي: ضيقه، فصار يقدر قوته لا يفضل منه، أن هذا إهانة من الله [ص:٩٢٤] له، فرد الله عليه هذا الحسبان: بقوله {كَلا} أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل.

وأيضًا، فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: {كَلا

بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه.

فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير.

{وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين} أي: لا يحض بعضكم بعضًا على إطعام المحاويج من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب، ولهذا قال: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ} أي: المال المخلف {أَكْلا لَمًّا} أي: ذريعًا، لا تبقون على شيء منه.

{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} أي: كثيرًا شديدًا، وهذا كقوله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} {كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ} . {كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا ،أي دقت وكسرت مرة بعد مرة، وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره، حتى لا يبقى على ظهرها شيء.

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم، صفًا صفا أي: صفًا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار.

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} تقودها الملائكة بالسلاسل.

فإذا وقعت هذه الأمور فـ {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ} ما قدمه من خير وشر.

{وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} فقد فات أوانها، وذهب زمانها، يقول متحسرًا على ما فرط في جنب الله: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} الدائمة الباقية، عملا صالحًا، {فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ} لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له. {وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين، وأما من اطمأن إلى الله وآمن به وصدق رسله، فيقال له: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} إلى ذكر الله، الساكنة [إلى] حبه، التي قرت عينها بالله.

{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ} الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه {رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها.{فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي} فَادْخُلِي فِي عِبادِي في جملة عبادي الصالحين.

وَادْخُلِي جَنَّتِي معهم أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم، فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة، أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها، وادخلي دار ثوابي التي أعدت لك.[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن ٩٢٤/١.

رابعا: سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠) .

سبب نزولها :

نزلت فى رجل يدعى الحارث بن عامر ففى يوم من الأيام أذنب الحارث ذنبا ما فذهب للنبى لأخذ مشورته واستفتائه بأمر ذنبه فأمر الرسول بدفع كفارة ليغفر الله له ،فأدعى الحار أنه من دخوله الاسلام وانه انفق كل ماله فى الكفارات والنفقات فنزلت السورة .

التفسير:

(مكية وهي عشرون آية، واثنتان وثمانون كلمة، وثلاثمائة وعشرون حرفا)،

وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ أي مقيم به، نازل فيه، فكأنه عظّم حرمة مكة من أجل أنه صلّى الله عليه وسلّم مقيم بها والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل، والأسر، ليس عليك ما على الناس من الإثم في استحلالها، أحل الله عزّ وجلّ له مكة يوم الفتح حتى قاتل، وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما، وأحل دماء قوم، وحرم دماء قوم آخرين، فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ثم قال بعد ذلك إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وَوالِدٍ وَما وَلَدَ يعني آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها، وحرمتها، وبآدم، وبالأنبياء والصالحين من ذريته، لأن الكافر وإن كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به، وجواب القسم قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ تعب ومشقة من كبد الرجل كبداً إذا وجعت كبده ومنه المكابدة، والإِنسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده، وهو

تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه، يعني أن الله سبحانه وتعالى يراه فيجازيه، أو يجده فيحاسبه عليه ثم بين ذلك بقوله. أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ يبصر بهما. وَلِساناً يترجم به عن ضميره. وَشَفَتَيْنِ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها. وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ طريقي الخير والشر،

{فلا اقتحم العقبة} أَيْ: لم يدخل العقبة وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنفق في طاعة الله يحتاج أن يتحمَّل الكُلفة كمَنْ يتكلَّف صعود العقبة يقول: لم ينفق هذا الإنسان في طاعة الله شيئاً، {وما أدراك ما العقبة} أَيْ: ما اقتحام العقبة ثمَّ فسَّره فقال:

{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة.

{يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة.

{أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة.

{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم. من كل قول وفعل واجب أو مستحب. {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضًا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملا منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس.

{وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله لاقتحام هذه العقبة {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا} بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، [ولا آمنوا به] ، ولا عملوا صالحًا، ولا رحموا عباد الله، {والذين كفروا بآياتنا همْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَة عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ} أي: مغلقة، في عمد

ممددة،قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة.[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن ٩٢٤/١.

خامسا: سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

سبب نزولها : أن رجلا أسمه قدار بن سالف عزيز فى قومه اعتدى على الناقة وكان مود قد طلبوا آية من صالح عليه السلام فقال لهم ما الآية التى تريدونها؟فقالوا ناقة كوماء ،اى ضخمة كثيرة اللبن ويكون لبنها دافئا شتاء بارد صيفاًفانشقت الصخرة وخرجت الناقة ،فحذرهم نبى الله بعدم مسها بسوء فقتولها فبين الله تعالى مصير كل منهما .

التفسير:

مكية وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا.

قوله عزّ وجلّ: وَالشَّمْسِ وَضُحاها أي إذا بدا ضوءها والضّحى حين ترتفع الشّمس، ويصفو ضوءها، وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها أي تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور، وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها يعني جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره، وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها أي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الأقسام الأربعة ترجع إلى الشمس في الحقيقة. لأن بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى، وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر، وَالسَّماءِ وَما بَناها أي ومن بناها خلقها، وَالْأَرْضِ وَما طَحاها أي بسطها وسطحها على الماء وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها أي عدل خلقها وسوى أعضاءها، فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها قال ابن عباس: بين لها الخير والشّر وعنه علمها الطّاعة والمعصية، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها المعنى لقد أفلح من زكاها أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذّنوب، ووفقها للطاعة. وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى، وأفسدها، وأصله من دس الشّيء إذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره، وزكاه، وخسارة من خذله، وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه، أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر

متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها، ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»، قوله عز وجل: كَذَّبَتْ ثَمُودُ وهم قوم صالح عليه الصّلاة والسّلام بِطَغْواها أي بطغيانها وعدوانها، والمعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها أي قام وأسرع وذلك أنهم لما كذبوا بالعذاب، وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف، وكان رجلا أشقر أزرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة «أنه سمع النبي صلّى الله عليه وسلّم يخطب وذكر الناقة، والذي عقرها فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة» ،قوله تعالى: فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ يعني صالحا عليه الصّلاة والسّلام ناقَةَ اللَّهِ أي ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله. وَسُقْياها أي وشربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها فَكَذَّبُوهُ يعني صالحا فَعَقَرُوها يعني الناقة

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أي فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال، وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم أحد بِذَنْبِهِمْ أي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم، وهو تكذيبهم صالحا عليه الصّلاة والسّلام وعقرهم الناقة فَسَوَّاها أي فسوى الدّمدمة عليهم جميعا وعمهم بها، معناه فسوى بين الأمة وأنزل بصغيرهم، وكبيرهم، وغنيهم، وفقيرهم العذاب، وَلا يَخافُ عُقْباها والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسب ذلك.[1]

[1] لباب التأويل ٤٣٣/٤.

سادسا: سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

سبب نزول السورة :

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فَرْعُهَا فِي دَارِ رَجُلٍ فَقِيرٍ ذِي عِيَالٍ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا جَاءَ وَدَخَلَ الدَّارَ فَصَعِدَ النَّخْلَةَ لِيَأْخُذَ مِنْهَا التَّمْرَ، فَرُبَّمَا سَقَطَتِ التَّمْرَةُ فَيَأْخُذُهَا صِبْيَانُ الْفَقِيرِ، فَيَنْزِلُ الرَّجُلُ مِنْ نَخْلَتِهِ حَتَّى يَأْخُذَ التَّمْرَةَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَإِنْ وَجَدَهَا فِي فَمِ أَحَدِهِمْ أَدْخَلَ إِصْبَعَهُ حَتَّى يُخْرِجَ التَّمْرَةَ مِنْ فِيهِ. فَشَكَا الرَّجُلُ ذَلِكَ إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وَأَخْبَرَهُ

بِمَا يَلْقَى مِنْ صَاحِبِ النَّخْلَةِ، فَقَالَ له النبي صلى اللَّه عليه وسلم: اذْهَبْ، وَلَقِيَ صَاحِبَ النَّخْلَةِ وَقَالَ: تُعْطِينِي نَخْلَتَكَ الْمَائِلَةَ الَّتِي فَرْعُهَا فِي دَارِ فُلَانٍ، وَلَكَ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: [لَقَدْ أَعْطَيْتُ] وَإِنَّ لِي نَخْلًا كَثِيرًا، وَمَا فِيهَا نَخْلَةٌ أَعْجَبُ إِلَيَّ ثَمَرَةً مِنْهَا، ثُمَّ ذَهَبَ الرَّجُلُ، فَلَقِيَ رَجُلًا كَانَ يَسْمَعُ الْكَلَامَ مِنْ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُعْطِينِي مَا أَعْطَيْتَ الرَّجُلَ، نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ إِنْ أَنَا أَخَذْتُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَذَهَبَ الرَّجُلُ فَلَقِيَ صَاحِبَ النَّخْلَةِ، فَسَاوَمَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَعْطَانِي بِهَا نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: يُعْجِبُنِي ثَمَرُهَا؟ فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ: أَتُرِيدُ بَيْعَهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ أُعْطَى بِهَا مَا لَا أَظُنُّهُ أُعْطِيَ. قَالَ: فَمَا مُنَاكَ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ نَخْلَةً قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: لَقَدْ جِئْتَ بِعَظِيمٍ، تَطْلُبُ بِنَخْلَتِكَ الْمَائِلَةِ أَرْبَعِينَ نَخْلَةً؟ ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: أَنَا أُعْطِيكَ أَرْبَعِينَ نَخْلَةً، فَقَالَ لَهُ أَشْهِدْ لِي إِنْ كُنْتَ صَادِقًا. فَمَرَّ نَاسٌ فَدَعَاهُمْ، فَأَشْهَدَ لَهُ بِأَرْبَعِينَ نَخْلَةً، ثُمَّ ذَهَبَ إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّخْلَةَ قَدْ صَارَتْ فِي مِلْكِي، فَهِيَ لَكَ. فَذَهَبَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إِلَى صَاحِبِ الدَّارِ، فقال: إن النخلةَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى.]

- **قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى الْآيَاتِ.**

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ [لِمَا خُلِقَ لَهُ] ثُمَّ قَرَأَ: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى رواه البخارى.

- قوله تعالى {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى.] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ (بِلَالًا) لَمَّا أَسْلَمَ ذَهَبَ إلى الأصنام فَسَلَحَ عَلَيْهَا، وَكَانَ عَبْدًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مَا فَعَلَ، فَوَهَبَهُ لَهُمْ، وَمِائَةً مِنَ الْإِبِلِ يَنْحَرُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ، فَأَخَذُوهُ، وَجَعَلُوا يُعَذِّبُونَهُ فِي الرَّمْضَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. فَمَرَّ بِهِ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فَقَالَ: يُنْجِيكَ أَحَدٌ أَحَدٌ. ثُمَّ أَخْبَرَ رسول اللَّه- صلى اللَّه عليه وسلم- (أَبَا بَكْرٍ) : أَنَّ بِلَالًا يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ، فَحَمَلَ أَبُو بَكْرٍ رِطْلًا مِنْ ذَهَبٍ، فَابْتَاعَهُ بِهِ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: مَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ إِلَّا لِيَدٍ كَانَتْ لِبِلَالٍ عِنْدَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى.]

التفسير:

مكية وهي إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف، قوله عز وجل: وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى أي يغشى النّهار بظلمته فيذهب الله بضوئه. أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان إلى مأواه، ويسكن عن الاضطراب، والحركة، ثم أقسم بالنهار بقوله وَالنَّهارِ إِذا تَجَلَّى أي بان وظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى من ماء واحد قوله تعالى: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى أي إن أعمالكم لمختلفة قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطى أي أنفق ماله في سبيل الله عز وجل: وَاتَّقى أي ربه، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى صدق بقول لا إله إلا الله وعنه صدق بالخلف به، أي أيقن أن الله سيخلف عليه ما أنفقه في طاعته، يثيبه فَسَنُيَسِّرُهُ فسنهيئه في الدنيا لِلْيُسْرى أي للخلة والفعلة اليسرى، وهو العمل بما يرضاه الله.

قوله عز وجل: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ أي بالنّفقة في الخير والطاعة وَاسْتَغْنى أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى أي بلا إله إلا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى أي فسنهيئه للشّر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار، قوله عز وجل: وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ أي الذي بخل به إِذا تَرَدَّى

أي إذا مات، وقيل هوى في جهنم إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضّلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى، وما للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده الإرشاد والهداية وعليه تبيين طريقها، وَإِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولى أي لنا ما في الدّنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق فَأَنْذَرْتُكُمْ أي يا أهل مكة ناراً تَلَظَّى أي تتوقد وتتوهج لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى يعني الشّقي الَّذِي كَذَّبَ يعني الرّسل وَتَوَلَّى أي عن الإيمان وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى يعني التّقي الَّذِي يُؤْتِي أي يعطي مالَهُ يَتَزَكَّى أي يطلب عند الله أن يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين، وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى (١٩) إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضى (٢١) وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ أي عند أبي بكر مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى أي من يد يكافئه عليها إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى أي لم يفعل ذلك مجازاة لأحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب مرضاته وَلَسَوْفَ يَرْضى أي بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل. [1]

---

[1] لباب التأويل ٤/٤٣٤:٤٣٦.

سابعا: سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

سبب نزول السورة :

عَنْ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَتِ (امْرَأَةٌ مِنْ قريش) للنبي صلى اللَّه عليه وسلم: مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا [قَدْ] وَدَّعَكَ. فَنَزَلَ: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ...حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رأى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى قَالَ: فَأَعْطَاهُ أَلْفَ قَصْرٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ لؤلؤ، ترابُه المسك، فِي كُلِّ قَصْرٍ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي لَهُ [مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ]

-قَوْلُهُ تَعَالَى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: لَقَدْ سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ. قُلْتُ: يَا رَبِّ! إِنَّهُ قَدْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي مِنْهُمْ مَنْ سَخَّرْتَ لَهُ الرِّيحَ- وَذَكَرَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ- وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى- وَذَكَرَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ- وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ. قَالَ: فَقَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟! قَالَ: قُلْتُ: بَلَى [يَا رَبِّ] ! قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟! قَالَ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟! قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ؟! قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ!.]

التفسير:

مكية وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا،

وَالضُّحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، أو لأن فيه كلم موسى ربه وألقى السحرة سجداً، أو النهار ويؤيده قوله: أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى في مقابلة بَياتاً. {والليل إِذَا سجى} سكن والمراد سكون الناس والأصوات فيه، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى أي ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وما قلى أحدا من أصحابك ومن هو على دينك إلى يوم القيامة. وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى أي الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك

وأعظم من الذي أعطاك في الدّنيا، وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدّنيا» وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى قال ابن عباس هي الشفاعة في أمته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص «أن النبي صلّى الله عليه وسلّم رفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد، واسأله ما يبكيك، وهو أعلم فأتى جبريل، وسأله فأخبره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما قال وهو أعلم، فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد وقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا» عن عوف بن مالك أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشّفاعة فاخترت الشّفاعة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا» وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى ألم يجدك يتيما

صغيرا حين مات أبوك، ولم يخلف لك مالا، ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوي إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة.

وذلك أن عبد الله مات ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم حمل فكفله جده عبد المطلب، فلما مات عبد المطلب، كفله عمه أبو طالب إلى أن قوي، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدى (٧) وَجَدَكَ ضَالًّا أي عما أنت عليه اليوم فَهَدى أي فهداك إلى توحيده ونبوته، وقيل وجدك ضالا عن معالم النّبوة وأحكام الشّريعة، فهداك إليها وقال ابن عباس: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير، فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه، فرده إلى جده عبد المطلب، وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة إذ جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل عليه السّلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة، ورد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى القافلة فمنّ الله عليه بذلك، وقيل وجدك ضالًّا نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك، وقيل ووجدك بين أهل الضّلال فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم، وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لأنه كان صلّى الله عليه

وسلّم يخلو في غار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه حتى هداه الله لدينه، وقال الجنيد: ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل الله إليك، فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الآية ولا يلتفت إلى قول من قال إنه صلّى الله عليه وسلّم كان قبل النّبوة على ملة قومه، فهداه الله إلى الإسلام، قوله عز وجل: وَوَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى يعني فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم والتجارة وربحها، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما، وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه، وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم، ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير بإصبعيه» (خ) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة، والوسطى، وفرج بينهما» وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ يعني السائل على الباب يقول لا تزجره إذا سألك فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك في وجهه، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ قيل أراد بالنّعمة النّبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة

التي أتاك الله، عن النّعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المنبر يقول «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب» عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله».[1]

[1] لباب التأويل :٤/٤٣٧:٤٤٠.

ثامنا: سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

نزولها : وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (جَاءَنِي مَلَكَانِ فِي صُورَةِ طَائِرٍ، مَعَهُمَا مَاءٌ وَثَلْجٌ، فشرح أحدهما صدري، وفتح الْآخَرُ بِمِنْقَارِهِ فِيهِ فَغَسَلَهُ.[1]

التفسير:

مكية وهي ثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف، قوله عز وجل: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ الفتح بما يصده عن الإدراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلّى الله عليه وسلّم للهدى، والمعرفة بإذهاب الشّواغل التي تصده عن إدراك الحق، هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه جبريل عليه السّلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرجه فاستخرج منه

[1] الجامع لاحكام القران :قرطبى ١٠٣/٢٠.

علقة فقال: هذا حظ الشّيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمدا قد قتل فاستقبلوه، وهو ممتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره» وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ معناه عصمناك عن الوزر الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ أي أثقله وأوهنه أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له، وقوله عز وجل: وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ رفع الله ذكره في الدّنيا والآخرة، فقال تعالى فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً وإنما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرّجاء. قوله عز وجل: فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى، والنصب التعب قال ابن عباس: إذا فرغت من الصّلاة المكتوبة، فانصب إلى ربك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة قال عمر بن الخطاب إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته. وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ أي تضرع إليه راغبا في الجنة راهبا من النار.[1]

---

[1] لباب التاويل :٤/٤٤١:٤٤٣.

تاسعا: سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)

سبب نزولها :

للمفسرين فيه قولان: فعن ابن عباس: هو تينكم وزيتونكم هذان من خواص التين أنه غذاء فاكهة ودواء لأنه طعام لطيف سريع الهضم ما بين الطبع، ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال.

وروي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت: هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس.»[١]

[١] غرائب القر آ، :النيسابورى ٥٢٤/٦.

التفسير:

(مكية وهي ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف) قوله{والتين والزيتون} أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت أن فاكهة أنزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم. وَطُورِ سِينِينَ يعني الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصّلاة والسّلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ يعني الآمن، وهو مكة حرسها الله تعالى لأنه الحرم الذي يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ يعني في أعدل قامة، وأحسن صورة، وذلك أنه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه إلا الإنسان فإنه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم، والفهم، والعقل، والتّمييز،

والمنطق. ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ يعني إلى الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسّافلون هم الضّعفاء، والزمنى والأطفال والشّيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لأنه لا يستطيع حيلة، ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وروي عن ابن عباس: قال إلا الذين قرءوا القرآن وقال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ يعني غير مقطوع لأنه يكتب له بصالح ما كان يعمل فَما يُكَذِّبُكَ، فما الذي يلجئك أيها الناس إلى هذا الكذب ألا تتفكر في صورتك وشبابك، ومبدأ خلقك، وهرمك، فتعتبر وتقول أن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة، وقيل هو خطاب للنبي صلّى الله عليه وسلّم والمعنى فمن يكذبك أيها الرّسول بعد ظهور هذه الدّلائل، والبراهين أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ أي بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «من قرأ والتين والزيتون، فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين، فليقل بلى وأنا على ذلك من الشّاهدين».[1]

---

[1] لباب التاويل :٤/٤٤٥.

عاشرا: سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)

سبب نزول السورة :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كان النبي صلى اللَّه عليه وسلم يُصَلِّي، فَجَاءَ (أَبُو جَهْلٍ) فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟! فَانْصَرَفَ إليه النبي- صلى اللَّه عليه وسلم- فَزَبَرَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ! إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرَ مِنِّي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.]

التفسير:

مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا) قال أكثر المفسرين هذه السّورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله ما لَمْ يَعْلَمْ (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي الرّؤيا الصّالحة» ولمسلم «الصّادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي» وفي رواية حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ حتى بلغ ما لَمْ يَعْلَمْ فرجع بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع

ثم قال لخديجة أي خديجة ما لي وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرّحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: أيّ ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أو مخرجيّ هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي».

قوله عزّ وجلّ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك، والمعنى اذكر اسم ربك أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا، وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أي قل بسم الله، ثم اقرأ فعلى

هذا يكون في الآية دليل على استحباب البداءة بالتسمية في أول القراءة، الَّذِي خَلَقَ يعني جميع الخلائق، خَلَقَ الْإِنْسانَ يعني آدم وإنما خص الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لأنه أشرفها، وأحسنها خلقه مِنْ عَلَقٍ

وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ يعني الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير، والمعنى اقرأ وربك الأكرم لأنه يجزي بكل حرف عشر حسنات الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ أي الخط والكتابة التي بها تعرف الأمور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لأن بالكتابة ضبطت العلوم، ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين، وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة:

القلم نعمة من الله عظيمة. لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش، عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ، علمه من أنواع العلم، والهداية، والبيان، ما لم يكن يعلم، قوله عزّ وجلّ: كَلَّا أي حقا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أي يتجاوز الحد، ويستكبر على ربه أَنْ أي لأن رَآهُ اسْتَغْنى أي رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته إلى منزلة أخرى في اللّباس والطعام وغير ذلك، نزلت في أبي جهل وكان

قد أصاب مالا فزاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى

أي المرجع في الآخرة وفيه تهديد، وتحذير لهذا الإنسان من عاقبة الطغيان، ثم هو عام لكل طاغ متكبر. أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْداً إِذا صَلَّى نزلت في أبي جهل وذلك أنه نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الصّلاة (م) عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، فقيل نعم فقال واللّات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له ما لك قال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» فأنزل الله هذه الآية، لا أدري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه كلا إن الإنسان ليطغى إلى قوله كلا لا تطعه قال: وأمره بما أمره به زاد في رواية، فليدع ناديه يعني قومه (خ) عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند البيت لأطأن على عنقه. فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة» زاد التّرمذي عيانا ومعنى أرأيت تعجبا للمخاطب

وهو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفائدة التنكير في قوله عبدا تدل على أنه كامل العبودية، والمعنى أرأيت الذي ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية، وهذا دأبه وعادته، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ يعني أبا جهل وَتَوَلَّى أي عن الإيمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهي عبدا إذا صلّى وهو على الهدى آمر بالتّقوى والنّاهي مكذب متول عن الإيمان أي أعجب من هذا أَلَمْ يَعْلَمْ يعني أبا جهل بِأَنَّ اللَّهَ يَرى يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به، وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم كَلَّا أي لا يعلم ذلك أبو جهل لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ يعني عن إيذاء محمد صلّى الله عليه وسلّم وعن تكذيبه لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ أي لنأخذن بناصيته فلنجرنه إلى النّار، يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أي لنضربن وجهه في النار، ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ أي صاحبها كاذب خاطئ. قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الصلاة انتهره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال أبو جهل: أتنتهرني فو الله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا، ورجالا مردا وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلي فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي صلّى

الله عليه وسلّم فزبره فقال أبو جهل إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تعالى فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله، ومعنى فليدع ناديه أي عشيرته وقومه فلينتصر بهم، وأصل النادي المجلس الذي يجمع الناس، ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه أهله سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ يعني الملائكة الغلاظ الشداد، كَلَّا أي ليس الأمر على ما هو عليه أبو جهل لا تُطِعْهُ أي في ترك الصّلاة وَاسْجُدْ يعني صل لله وَاقْتَرِبْ أي من الله (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء».[1]

[1] لباب التأويل ٤/٤٤٧:٤٤٩.

الحادى عشر :سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)

سبب نزول السورة :

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم- (رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) لَبِسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَتَعَجَّبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الَّتِي لَبِسَ فِيهَا السِّلَاحَ ذَلِكَ الرَّجُلُ.].

التفسير:

هي مدنية وقيل إنها مكية والقول الأول أصح، وهو قول الأكثرين، قيل إنها أول ما نزل بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا.

قوله عزّ وجلّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ يعني القرآن ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وذلك أن الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة

القدر فوضعه في بيت العزة، ثم نزل به جبريل عليه السّلام على النبي صلّى الله عليه وسلّم نجوما متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة، فكان ينزل بحسب الوقائع، والحاجة إليه، سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على اللّيالي من قولهم لفلان قدر عند الأمير، أي منزلة وجاه، وقيل سميت بذلك لأن العمل الصّالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا، وقيل سميت بذلك لأن الأرض تضيق بالملائكة فيها. (فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها) (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم إنها كانت على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم رفعت لقوله صلّى الله عليه وسلّم حين تلاحى الرجلان «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم» وهذا غلط ممن قال بهذا القول لأن آخر الحديث يرد عليهم فإنه صلّى الله عليه وسلّم قال في آخره «فالتمسوها في العشر الأواخر في التاسعة والسابعة والخامسة»، فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصّحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية إلى يوم القيامة، روي عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت

لأبي هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم. قوله عزّ وجلّ: وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ أي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها، وهذا على سبيل، التعظيم لها، والتّشويق إلى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه:

فقال تعالى: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ قال ابن عباس: ذكر لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجل من بني إسرائيل حمل السّلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لذلك، وتمنى ذلك لأمته فقال: يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارا، وأقلها أعمالا، فأعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر، فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السّلاح في سبيل الله لك ولأمتك إلى يوم القيامة، وعن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أرى أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أي لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المفسرون: معناه العمل الصّالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها

ليلة القدر، وإنما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير والبركة.

الوجه الثاني: من فضلها قوله عزّ وجلّ: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ يعني إلى الأرض وسبب هذا أنهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الأمر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة، والعبادة، والجد، والاجتهاد نزلوا إليهم ليسلموا عليها ويعتذروا مما قالوه، ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم وَالرُّوحُ يعني جبريل عليه الصّلاة والسّلام قاله أكثر المفسرين: وفي حديث أنس عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون، ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عزّ وجلّ» ذكره ابن الجوزي، وقيل إن الرّوح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشّمس إلى طلوع الفجر، وقيل إن الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة، تلك الليلة فِيها أي في ليلة القدر بِإِذْنِ رَبِّهِمْ أي بأمر ربهم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ أي بكل أمر من الخير والبركة، وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل أمر.

الوجه الثالث: من فضلها قوله تعالى: سَلامٌ أي سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشّعبي: هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من

حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عزّ وجلّ، وقيل تم الكلام عند قوله مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ثم ابتدأ فقال تعالى: سَلامٌ هِيَ يعني القدر سلامة وخير ليس فيها شر، وقيل لا يقدر الله في تلك اللّيلة ولا يقضي إلا السلامة، وقيل إن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يحدث فيها أذى حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ أي أن ذلك السّلام أو السّلامة تدوم إلى مطلع الفجر، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.[1]

[1] لباب التاويل :٤/٤٥٠:٤٥٣

الثانى عشر:سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)

سبب نزولها :

نزلت على النبى –ص- فى مكة المكركة وهو قول جمهور المفسرين وسميت حين نزلت بسورة لم يكن الذين كفروا فقد روى البخارى ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُبَيٍّ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ» قَالَ أُبَيٌّ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي»

فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي، قَالَ قَتَادَةُ: فَأُنْبِئْتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ} [البينة: ١].

التفسير:

مكّيّة في قول الجمهور وقيل: مدنيّة، والأوّل أشهر

{لم يكن الذين كفروا} بمحمد صلى الله عليه وسلم {مّنْ أَهْلِ الكتاب} أي اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الإسلام من يدين به {والمشركين} عبدة الأصنام {مُنفَكّينَ} منفصلين عن الكفر وحذف لأن صلة الذين تدل عليه {حتى تَأْتِيَهُمُ البينة} الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض ، {رَسُولٌ مّنَ الله} أي محمد عليه السلام وهو بدل من البينة {يتلو} يقرأ عليهم {صُحُفاً} قراطيس {مُّطَهَّرَةٍ} من الباطل، {فِيهَا} في الصحف {كُتُبٌ} مكتوبات {قَيّمَةٌ} مستقيمة ناطقة بالحق والعدل،

{وما تفرَّق الذين أوتوا الكتاب} أي: ما اختلفوا في كون محمَّدٍ عليه السَّلام حقاً لما يجدون من نعته في كتابهم {إلا من بعد ما جاءتهم البينة} إلاَّ من بعد ما بيَّنوا أنَّه النبيُّ الذي وُعدوا به في التَّوراة والإِنجيل يريد: أنَّهم كانوا

مجتمعين على صحَّة نبوَّته فلمَّا بُعث جحدوا نبوَّته وتفرَّقوا فمنهم مَنْ كفر بغياً وحسداً ومنهم مَنْ آمن

{وَمَا أُمِرُواْ} يعني في التوراة والإنجيل {إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} من غير شرك ونفاق {حُنَفَاء} مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة {ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وَذَلِكَ دِينُ القيمة} أي دين الملة القيمة

ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، {خَالِدِينَ فِيهَا} لا يفتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون، {أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة. {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة.{جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جنات عَدْنٍ} إقامة {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار خالدين فِيهَا أَبَداً رَّضِىَ الله عَنْهُمْ} بقبول أعمالهم {وَرَضُواْ عَنْهُ} بثوابها {ذلك} أي الرضا {لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ} وقوله خَيْرُ البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية الخلق واشتقاقها من برأ

الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرَى وهو التراب ولو كان كذلك لما قرءوا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم. [1]

[1] مدارك التنزيل : النسفى :٣/٦٦٦:٦٦٨

الثالث عشر: سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

سبب نزول السورة :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: نَزَلَتْ: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَاعِدٌ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَبْكَانِي هَذِهِ السُّورَةُ. فَقَالَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ وَلَا تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللَّهِ أُمَّةً مِنْ بَعْدِكُمْ يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ.]

التفسير:

قوله تعالى{إذا زلزلت الأرض زلزالها} اى حركت زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال، {وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا} أي كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها، {وقال الإنسان ما لها}

زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما يهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون مَن بَعَثَنَا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هَذَا مَا وعد الرحمن وصدق المرسلون، {يَوْمَئِذٍ} بدل من إذا وناصبها {تُحَدّثُ} أي تحدث الخلق {أَخْبَارَهَا} فحذف أول المفعولين لأن المقصود ذكر تحديثها الإخبار، لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشروفى الحديث تشهد على كل واحد بما علم على ظهرها، {بِأَنَّ رَبَّكَ أوحى لَهَا} أي تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها أي إليها وأمره اياها بالتحديث، {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ الناس} يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف {أَشْتَاتاً} بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتاً يتفرق بهم طريقا الجنة والنار {لّيُرَوْاْ أعمالهم} أي جزاء أعمالهم، {فمن يعمل مثقال ذرة} نملة صغيرة {خيرا} تمييز {يره} أى يرى جزاؤه، {ومَنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره} جزاء المؤمن في الدُّنيا بالأحزان والمصائب والكافر في الآخرة.[1]

[1] الوجيز :الواحدى ١٢٢٤/١.

الرابع عشر: سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)

سبب نزول السورة :

قَالَ مُقَاتِلٌ: بَعَثَ رسول اللَّه- صلى اللَّه عليه وسلم- (سَرِيَّةً إِلَى حَيٍّ مِنْ كِنَانَةَ) ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ (الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيَّ) . فَتَأَخَّرَ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: قُتِلُوا جَمِيعًا. فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَأَنْزَلَ [اللَّهُ تَعَالَى] : وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، يَعْنِي: تِلْكَ الْخَيْلَ.]

التفسير:

قوله تعالى {والعاديات} يعني: الخيل في الغزو {ضبحاً} تضبح ضبحاً وهو صوت أجوافها إذا عدت، {فالموريات} وهي الخيل التي تُوري النَّار {قدحاً} بحوافرها إذا عدت في الأرض ذات الحجارة باللَّيل، {فالمغيرات صبحاً} يعني:

الخيل تُغير على العدوِّ وقت الصبح وإنما يُغير أصحابها ولكن جرى الكلام على الخيل، {فأثرن} هجين {به} بمكان عدوها {نقعاً} غباراً، {فوسطن} توسطن {به} بالمكان الذي هي به {جمعاً} من النَّاس أغارت عليهم يريد: صارت في وسط قومٍ من العدوِّ تُغير عليهم، {إن الإنسان} جواب القسم {لربه لكنود} لكفورٌ يعني: الكافر يجحد نعم الله تعالى، {وإنه} وإنَّ الله تعالى {على ذلك} على كنوده {لشهيد}، {وإنّه لحب الخير} لأجل حبِّ المال {لشديد} لبخيلٌ، {أفلا يعلم} هذا الإنسان {إذا بعثر} قُلب فَأُثير {ما في القبور} يعني: إذا بُعث الموتى، {وحصِّل} بيِّن وأُبرز {ما في الصدور} من الكفر والإيمان، {إنَّ ربهم بهم يومئذٍ لخبير} عالمٌ فيجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم.

الخامس عشر :سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)

سبب نزولها :

لما ختم السورة المتقدمة بأحوال المعاد ذكر في هذه السورة بعض أحوال الآخرة، والقرع الاصطكاك بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة الهائلة قارعة والمراد هاهنا القيامة ولا أهول منها ولذلك قال في الإخبار عنها مَا الْقَارِعَةُ لأنه يفيد زيادة التهويل.

التفسير:

قوله تعالى {الْقَارِعَةُ} من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه بقوله: {الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ} من شدة الفزع والهول، {كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوث} أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض،

والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، وأما الجبال الصم الصلاب، فتكون {كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفًا جدًا، تطير به أدنى ريح، قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} ثم بعد ذلك، تكون هباء منثورًا، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} أي: رجحت حسناته على سيئاته {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} في جنات النعيم.

{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته.

{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة كما قال تعالى: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} .

وقيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار، أي: يلقى في النار على رأسه.

{وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ} وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرها بقوله هي: {نَارٌ حَامِيَةٌ} أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفًا. نستجير بالله منها.[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن : السعدى : ٩٣٣/١.

السادس عشر :سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)

سبب نزول السورة:

قَالَ مُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي (حَيَّيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ: بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنِي سَهْمٍ) ، كَانَ بَيْنَهُمَا لِحَاءٌ فَتَعَادُّوا السَّادَةَ وَالْأَشْرَافَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ؟ فَقَالَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ: نَحْنُ أَكْثَرُ سَيِّدًا، وَأَعَزُّ عَزِيزًا، وَأَعْظَمُ نَفَرًا. وَقَالَ بَنُو سَهْمٍ مِثْلَ ذَلِكَ، فَكَثَّرَهُمْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ. ثُمَّ قَالُوا: نَعُدُّ مَوْتَانَا، حَتَّى زَارُوا الْقُبُورَ فَعَدُّوا مَوْتَاهُمْ. فَكَثَّرَهُمْ بَنُو سَهْمٍ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ عَدَدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ.)

التفسير :

قوله تعالى {ألهاكم التكاثر} شغلكم التبارى فى الكثرة والتناهى بها في الأموال والأولاد عن طاعة الله، {حتى زُرْتُمُ المقابر} حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتم المقابر وعددتم من المقابر من موتاكم، {كَلاَّ} ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا تجميع همه ولا يهتم

بدينه{سَوْفَ تَعْلَمُونَ} عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه، {ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} في القبور، {كَلاَّ} تكرير الردع للانذار والتخريف {لَّوْ تَعْلَمُونَ} جواب لو محذوف أي لو تعلمون ما بين أيديكم {عِلْمَ اليقين} علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة،

{ثم لترونها} كرره معطوفا بثم تغليظاً في التهديد وزيادة في التهويل أو الأول بالقلب والثاني بالعين {عَيْنَ اليقين} أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ اللام تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد، وإن ما أوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب، والمعنى أنكم ترون الجحيم بأبصاركم بعد الموت،{ثم لتسألن يَوْمَئِذٍ عَنِ النعيم} عن الأمن والصحة فيم أفنيتموهما عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التنعيم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كنّ يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه وقد روي مرفوعاً والله أعلم.[1]

[1] لباب التأويل الخازن :٤/٤٦٥.

السابع عشر: سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)

سبب نزولها ومناسبتها :

لما بين في السورة المتقدمة أن الاشتغال بأمور الدنيا والتهالك عليها مذموم، أراد أن يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان والأعمال الصالحات وهو حظ الآدمي من جهة الكمال ومن التواصي بالخيرات وكف النفس عن المناهي، وهو حظه من حيث الإكمال وأكد ما أراد بقوله وَالْعَصْرِ وللمفسرين فيه أقوال: الأول أنه الدهر لوجوه منها ما جاء في القراءة الشاذة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ «والعصر ونوائب الدهر» وحمله العلماء إن صح على التفسير لا على أنه من القرآن لهذا لا يجوز قراءته في الصلاة. ومنها أن الدهر يشتمل على الأعاجيب الدالة على كمال قدرة خالقها من تغاير الملل والدول وسائر الأحوال الكلية والجزئية، بل

نفس الدهر من أعجب الأشياء لأنه موجود يشبه المعدوم ومتحرك يضاهي الساكن.[1]

التفسير:

قوله عزّ وجلّ: وَالْعَصْرِ قال ابن عباس: هو الدّهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر، والعجائب للنّاظر وقد ورد في الحديث «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» وذلك لأنهم كانوا يضيفون النّوائب والنّوازل إلى الدهر، فأقسم به تنبيها على شرفه، ولأنها الصّلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصّلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين «شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر» وقال صلّى الله عليه وسلّم «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»،{إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ} أي جنس الإنسان لفى خسران من تجاراتهم، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)

{إلا الذين آمنوا وَعَمِلُواْ الصالحات} فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا {وَتَوَاصَوْاْ بالحق} بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير **كله**

[1] غرائب القران : ٥٥٨/٦.

من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} عن المعاصى أو على الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده.[1]

[1] مدارك التنويل : النسفى ٦٧٧/٢.

الثامن عشر: سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)

سبب نزولها :

قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ كَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَائِهِ وَيَطْعَنُ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ.[1]

التفسير:

قوله تعالى {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} يتوعد الرب تبارك وتعالى بواد في جهنم يسيل بصديد أهل النار وقيوحهم كل همزة لمزة٢ أي كل مغتاب عياب ممن يمشون بالنميمة ويبغون للبراء العيب وقوله {الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} هذا وصف آخر لتلك الهمزة اللمزة وهو أنه {جَمَعَ مَالاً} كثيرا من حرام وحلال {وَعَدَّدَهُ} أي أحصاه وعرف مقداره وأعده

[1] مفاتيح الغيب ٢٨٣/٣٢.

لحوادث الدهر كما يزعم. {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} أي يظن أنه لا يموت لكثرة أمواله ومتى كان المال ينجي من الموت؟ إنه الغرور في الحياة، لو كان المال يخلد أحدا لأخلد قارون، وقوله تعالى {كَلَّا} لا يخلده ماله بل وعزتنا وجلالنا {لَيُنْبَذَنَّ}أي يطرحن {فِي الْحُطَمَةِ} النار المستعرة التي تحطم كل ما يلقى فيها وقوله تعالى {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ}هذا الاستفهام لتعظيم أمرها وتهويل شأنها،وبينها تعالى بقوله {نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ} أي المستعرة المتأججة، {الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} أي تشرف على القلوب فتحرقها، وقوله تعالى {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ}أي إن النار على أولئك الهمازين اللمازين مطبقة مغلقة الأبواب وقوله تعالى {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} أي يعذبون في النار بعمد ممددة، والله أعلم كيف يكون تعذيبهم بها إذ لم يطلعنا الله تعالى على كيفيته. [1]

[1] ايسر التفاسير :الجزائرى ٥/٦١٤:٦١٥.

التاسع عشر:سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)

سبب نزول السورة :

رُوِيَ أَنَّ أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ الْأَشْرَمِ مَلِكَ الْيَمَنِ مِنْ قِبَلِ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ بَنَى كَنِيسَةً بِصَنْعَاءَ وَسَمَّاهَا الْقُلَّيْسَ وَأَرَادَ أَنْ يَصْرِفَ إِلَيْهَا الْحَاجَّ فَخَرَجَ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ رَجُلٌ وَتَغَوَّطَ فِيهَا لَيْلًا فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ. وَقِيلَ:

أَجَّجَتْ رُفْقَةٌ مِنَ الْعَرَبِ نَارًا فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَأَحْرَقَتْهَا فَحَلَفَ لَيَهْدِمَنَّ الْكَعْبَةَ فَخَرَجَ بِالْحَبَشَةِ وَمَعَهُ فِيلٌ اسْمُهُ مَحْمُودٌ وَكَانَ قَوِيًّا عَظِيمًا، وَثَمَانِيَةٌ أُخْرَى، وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ، وَقِيلَ: أَلْفٌ، فَلَمَّا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ ثُلُثَ أَمْوَالِ تِهَامَةَ لِيَرْجِعَ فَأَبَى وَعَبَّأَ جَيْشَهُ، وَقَدَّمَ الْفِيلَ فَكَانُوا كُلَّمَا وَجَّهُوهُ إِلَى جِهَةِ الْحَرَمِ بَرَكَ وَلَمْ يَبْرَحْ، وَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى جِهَةِ الْيَمَنِ أَوْ إِلَى سَائِرِ الْجِهَاتِ هَرْوَلَ، ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ أَخَذَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِائَتَيْ بَعِيرٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيهَا فَعَظُمَ فِي عَيْنِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا وَسِيمًا، وَقِيلَ: هَذَا سَيِّدُ

قُرَيْشٍ، وَصَاحِبُ عِيرِ مَكَّةَ فَلَمَّا ذَكَرَ حَاجَتَهُ، قَالَ: سَقَطْتَ مِنْ عَيْنِي جِئْتُ لِأَهْدِمَ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ فَأَلْهَاكَ عَنْهُ ذَوْدٌ أخذلك، فَقَالَ أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ وَلِلْبَيْتِ رَبٌّ سَيَمْنَعُكَ عَنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَتَى الْبَيْتَ وَأَخَذَ بِحَلْقَتِهِ وهو يقول:

لا هم إِنَّ الْمَرْءَ يَمْ ... نَعُ حِلَّهُ فَامْنَعْ حَلَالَكْ

وانصر على آل الصليب ... وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَكْ

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ عدوا محالك

إن كنت تاركهم وكعبتنا ... فَأْمُرْ مَا بَدَا لَكْ

وَيَقُولُ:

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَا ... يَا رَبِّ فَامْنَعْ عَنْهُمْ حِمَاكَا

فَالْتَفَتَ وَهُوَ يَدْعُو، فَإِذَا هُوَ بِطَيْرٍ مِنْ نَحْوِ الْيَمَنِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَطَيْرٌ غَرِيبَةٌ مَا هِيَ بِنَجْدِيَّةٍ وَلَا تِهَامِيَّةٍ،وَكَانَ مَعَ كُلِّ طَائِرٍ حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَكْبَرَ مِنَ الْعَدَسَةِ وَأَصْغَرَ مِنَ الْحِمِّصَةِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَأَى مِنْهَا عِنْدَ أُمِّ هَانِئٍ نَحْوَ قَفِيزٍ مُخَطَّطَةٍ بِحُمْرَةٍ كَالْجَزَعِ الظَّفَارِيِّ، فَكَانَ الْحَجَرُ يَقَعُ عَلَى رَأْسِ الرَّجُلِ فَيَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَجَرٍ اسْمُ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ فَهَلَكُوا فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَمَنْهَلٍ، وَدَوَّى أَبْرَهَةُ فَتَسَاقَطَتْ أَنَامِلُهُ، وَمَا مَاتَ حَتَّى

انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ، وَانْفَلَتَ وَزِيرُهُ أَبُو يَكْسُومَ وَطَائِرٌ يُحَلِّقُ فَوْقَهُ، حَتَّى بَلَغَ النَّجَاشِيَّ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَلَمَّا أَتَمَّهَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ وَخَرَّ مَيِّتًا بَيْنَ يَدَيْهِ.[1]

التفسير:

قوله تعالى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ الخطاب للرسول صلّى الله عليه وسلم، وهو وإن لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها، وإنما قال كَيْفَ ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فإنها من الإرهاصات. إذ روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

قصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي- بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف الحاج إليها، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك، فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود، وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل، وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه

[1] مفاتيح الغيب ٣٨٩/٢٢.

إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول، فأرسل الله تعالى طيرا، كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران، أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا. وقرئ «أَلَمْ تَرَ» جداً في إظهار أثر الجازم، وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ في تعطيل الكعبة وتخريبها. فِي تَضْلِيلٍ في تضييع وإبطال بأن دمرهم وعظم شأنها. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ الخطاب للرسول صلّى الله عليه وسلم، وهو وإن لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها، وإنما قال كَيْفَ ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فإنها من الإرهاصات. إذ

روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

قصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي- بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف الحاج إليها، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك، فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود، وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبى

جيشه قدم الفيل، وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول، فأرسل الله تعالى طيرا، كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران، أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا. وقرئ «أَلَمْ تَرَ» جداً في إظهار أثر الجازم، وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ في تعطيل الكعبة وتخريبها. فِي تَضْلِيلٍ في تضييع وإبطال بأن دمرهم وعظم شأنها. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا، قوله عزّ وجلّ: تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ قال ابن مسعود: صاحت الطّير، ورمتهم بالحجارة، وبعث الله ريحا، فضربت بالحجارة، فزادتها شدة، فما وقع حجر منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه، خرج من دبره مِنْ سِجِّيلٍ قيل السّجيل اسم علم للدّيوان الذي كتب فيه عذاب الكفار، واشتقاقه من الإسجال، وهو الإرسال، والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله في ذلك الكتاب، وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الأجر، وقيل سجيل حجر، وطين مختلط، وأصله سنك، وكل فارسي معرب، وقيل سجيل الشّديد.

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ يعني كزرع وتبن أكلته الدّواب، ثم راثته، فيبس، وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم، وتفرقها بتفرق أجزاء الرّوث.[1]

[1] لباب التاويل :٤/٤٧٤.

العشرون :سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)

سبب نزول السورة :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَتْ: قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ (قُرَيْشًا) بِسَبْعِ خِصَالٍ- لَمْ يُعْطِهَا أَحَدًا قَبْلَهُمْ، وَلَا يُعْطِيهَا أَحَدًا بَعْدَهُمْ-: إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ، وَ [إِنَّ] الْحِجَابَةَ فِيهِمْ، وَإِنَّ السِّقَايَةَ فِيهِمْ، وَإِنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ، وَنُصِرُوا عَلَى الْفِيلِ، وَعَبَدُوا اللَّهَ سَبْعَ سِنِينَ لَمْ يَعْبُدْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ سُورَةٌ لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ.]

التفسير:

قوله تعالى{لإيلاف قريش} متعلق بقوله فلعبدوا أموهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط أي إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة أو بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لا يلاف قُرَيْشٍ

يعني أن ذلك الإتلاف لهذا الإيلاف وهذا كالتضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يضح إلا به وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائي ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحرموهم قضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وقيل المعنى أعجبوا لا يلاف قريش لالاف قريش شامى أى المؤلفة قريش وقيل يقال ألفته ألفاً وإلافاً وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطلق إلا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيهاً بها وقيلمن القرش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد{إيلافهم رِحْلَةَ الشتاء والصيف} أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيماً لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولاً به وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لا من الإلباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فيتمارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم، {فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هذا البيت الذى أَطْعَمَهُم مّن جوع وآمنهم من خوف} والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما

يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام.[1]

[1] مدارك التنزيل :٦٨٤/٣.

الحادى والعشرون :سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)

سبب نزول السورة :

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: كَانَ (أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ) يَنْحَرُ كُلَّ أسبوع جَزُورَيْنِ، فأتاه يَتِيمٌ فَسَأَلَهُ شَيْئًا، فَقَرَعَهُ بِعَصَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ.)

التفسير:

قوله تعالى{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل. {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا.

{وَلا يَحُضُّ} غيره {عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين، {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} أي: الملتزمون (٢) لإقامة الصلاة، ولكنهم {عَنْ

صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل القربات، والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي صلى الله عليه وسلم.

ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ} أي يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس.

{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به (٥) .

فهؤلاء -لشدة حرصهم- يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه.

وفي هذه السورة، الحث على إكرام (٦) اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص [فيها و] في جميع الأعمال. والحث على [فعل المعروف و] بذل الأموال الخفيفة، كعارية

الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين.[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن :٩٥٣/١

الثانى والعشرون :سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

سبب نزول السورة:

كَانَ (الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ) إِذَا ذُكِرَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، قَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ، لَوْ هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.)

التفسير:

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ممتنا عليه: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، من النهر الذي يقال له {الكوثر} ومن الحوض طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا. ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات.

ولأن الصلاة تتضمن الخضوع [في] القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به. {إِنَّ شَانِئَكَ} أي: مبغضك وذامك ومنتقصك {هُوَ الأبْتَرُ} أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر. وأما محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والأتباع صلى الله عليه وسلم. [1]

[1] تيسير الكريم الرحمن ٩٣٥/١

الثالث والعشرون: سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)

سبب نزول السورة :

نَزَلَتْ فِي (رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ) ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَنَتَّبِعُ دِينَكَ: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً. فَإِنْ كَانَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ خَيْرًا مِمَّا بِأَيْدِينَا، [كُنَّا] قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ، وَأَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ. وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِأَيْدِينَا، خَيْرًا مما في يَديك، [كُنْتَ] قَدْ شَرَكْتَنَا فِي أَمْرِنَا، وَأَخَذْتَ بِحَظِّكَ. فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنَّ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. فَغَدَا رسولُ اللَّه- صلى اللَّه عليه وسلم- إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَفِيهِ الْمَلَأُ مِنْ قريش، فقرأها عليها حَتَّى فَرَغَ مِنَ السُّورَةِ. فَأَيِسُوا مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ.]

التفسير:

قوله تعالى{قل يا أيها الكافرون} المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روي أن رهطاً من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا

ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأ عليم فآيسوا ، {لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ في معنى الآية قولان: أحدهما أنه لا تكرار فيها، فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ثم قال وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ أي ولست في الحال بعباد معبودكم وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ أي ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ أي لكم كفركم ولي إخلاصي وتوحيدي، والمقصود منه التّهديد فهو كقوله: اعملوا ما شئتم.[1]

[1] لباب التاويل ٣٨٦/٤.

الرابع والعشرون :سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

سبب نزولها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} قَالَ: "يَا عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَيَا فَاطِمَةُ قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا".[١]

التفسير:

قوله عزّ وجلّ: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ يعني فتح مكة، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب، ويَدْخُلُونَ حال على أن رَأَيْتَ بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامداً له عليه، أو فصل له حامداً على نعمه. «

[١] اسباب النزول ٤٩٧/١

روي أنه صلّى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فنزهه تعالى عما كانت الظلمة يقولون فيه حامداً له على أن صدق وعده، أو فأثن على الله بصفات الجلال حامداً له على صفات الإكرام. وَاسْتَغْفِرْهُ هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستدراكاً لما فرط منك من الالتفات إلى غيره. وعنه عليه الصلاة والسلام «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة».[1]

[1] أنوار التنزيل ٣٤٤/٥.

الخامس والعشرون :سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)

سبب نزول السورة :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: صَعِدَ رسول اللَّه- صلى اللَّه عليه وسلم- (ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا) ، فَقَالَ يَا صَبَاحَاهُ! فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ (قُرَيْشٌ) فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ: أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟! قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ (أَبُو لَهَبٍ) : تَبًّا لكَ! لهذا دَعَوْتَنَا جَمِيعًا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ إِلَى آخِرِهَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ.]

التفسير:

قوله عز وجل: تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (ق) «عن ابن عباس قال: لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعد النبي صلّى الله عليه وسلّم على الصفا، ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا

لم يستطع أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ، قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تبّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ ومعنى تبت خابت وخسرت، والتباب هو الخسار المفضي إلى الهلاك، والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه. مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ نفي لإغناء المال عنه وَما كَسَبَ وكسبه أو مكسوبه بماله {سيصلى نَاراً} سيدخل سيصلى البرجمي عن أبي بكر والسين للوعيد أي هو كائن لامحالة وإن تراخى وقته {ذَاتَ لَهَبٍ} توقد{وامرأته} هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان {حَمَّالَةَ الحطب} كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حَمَّالَةَ الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة ولقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امراته لأنها حَمَّالَةَ الحطب على أنها خبر وامرأته أو هي حمالة{فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مّن مَّسَدٍ} حال أو خبر آخر والمسد الذي قتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو

جلدا وغيرهما والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تحقيراً لها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب التروة والجدة والله اعلم.

السادس والعشرون :سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

سبب نزول السورة :

حَدَّثَنَاأَبُو سَعْدٍ الصَّغَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ (الْمُشْرِكِينَ) قَالُوا لرسول اللَّه- صلى اللَّه عليه وسلم-: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ قَالَ: فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عِدْلٌ، ولَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.].

التفسير:

قوله عز وجل: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عن أبي بن كعب «أن المشركين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم انسب لنا ربك، فأنزل الله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ والصّمد الذي لم يلد، ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا

سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفوا أحد. قال لم يكن له شبيه، ولا عديل، وليس كمثله شيء» أخرجه التّرمذي وقال: وقد روي عن أبي العالية أن النبي صلّى الله عليه وسلّم ذكر آلهتهم، فقالوا انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السّورة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وهذا أصح وقال ابن عباس أن عامر بن الطفيل، وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال عامر: إلام تدعونا يا محمد قال إلى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة، أم من حديد، أم من خشب، فنزلت هذه السّورة، وأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بالطاعون، وقد تقدم ذكرهما في سورة الرّعد، وقيل جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك، فإن الله تعالى أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو، وهل يأكل ويشرب، وممن ورث الربوبية، ولمن يورثها، فأنزل الله هذه السّورة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الألوهية، والرّبوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه، والمثل والنظير، وقيل لا يوصف أحد بالأحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد، ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى.

استأثر بها فلا يشركه فيها أحد، والفرق بين الواحد، والأحد أن الواحد يدخل في الأحد، ولا ينعكس، وقيل إن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي تقول في الإثبات رأيت رجلا واحدا، وفي النفي ما رأيت أحدا، فتفيد العموم، وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد، والأحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد اللَّهُ الصَّمَدُ قال ابن عباس: الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين، ووجه ذلك من حيث اللّغة أن الصّمد الشيء المصمد الصّلب الذي ليس فيه رطوبة، ولا رخاوة، ومنه يقال لسداد القارورة الصماد. فإن فسر الصمد بهذا كان من صفات الأجسام، ويتعالى الله جلّ وعزّ عن صفات الجسمية، وقيل وجه هذا القول إن الصمد الذي ليس بأجوف، معناه هو الذي لا يأكل، ولا يشرب، وهو الغني عن كل شيء، فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال، والقصد بقوله الله الصّمد التّنبيه على أنه تعالى بخلاف من أثبتوا له الإلهية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ وقيل الصّمد الذي ليس بأجوف شيئان أحدهما دون الإنسان، وهو سائر الجمادات الصّلبة والثاني أشرف من الإنسان وأعلى منه وهو البارئ جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم

يلد، ولم يولد لأن من يولد سيموت، ومن يموت يورث منه. وروى البخاري في أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: الصّمد هو السّيد الذي انتهى سؤدده، وهي رواية عن ابن عباس، أيضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السؤدد، وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب إليه في الرغائب المستعان به عند المصائب، وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهي في السودد والشرف، والعلو والعظمة، والكمال والكرم والإحسان، وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه، وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي، وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الأوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الأول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال. والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لأنه محتمل له، فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى والصّفات العليا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

قوله عز وجل: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وذلك أن مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النّصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل، ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لَمْ يَلِدْ يعني كما ولد عيسى، وعزير، وَلَمْ يُولَدْ معناه أن من ولد كان له والد فنفى عنه إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي لم يتقدمه، والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه، ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا أحد، أي ليس له من خلقه مثل، ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه. بقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ العديل والنّظير، والصّاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيّاي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» والله سبحانه وتعالى أعلم.[1]

[1] لباب التأويل ٤/٤٩٧:٤٩٨.

السابع والعشرون: سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

سبب نزول السورة:

عن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَحَرَهُ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ- فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ: سَنَةً- ثُمَّ قَالَ: (يَا عَائِشَةُ أُشْعِرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ. أَتَانِي مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ [الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي مَا شَأْنُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ [1]قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَ فِي مَاذَا؟ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[2] وَجُفِّ[3] طَلْعَةِ ذكر، تحت راعوفة في بئر ذي أوران [4]فَجَاءَ الْبِئْرَ وَاسْتَخْرَجَهُ. انْتَهَى الصَّحِيحِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (أَمَا شَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَنِي بِدَائِي). ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وعمار ابن يَاسِرٍ، فَنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ الْبِئْرِ كَأَنَّهُ نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وَهِيَ

---

[1] مسحور

[2] (ومشاقة) بالقاف بدل الطاء وهو ما يستخرج من الكتان. والمشط: الآلة التي يمشط بها الشعر.

[3] الجف (بضم الجيم وتشديد الفاء): الغشاء الذي يكون على الطلع ويطلق على الذكر والأنثى فلذا قيده بقوله (ذكر).

[4] ويقال: (بئر ذروان)، وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

الرَّاعُوفَةُ- صَخْرَةٌ تُتْرَكُ أَسْفَلَ الْبِئْرِ يَقُومُ عَلَيْهَا الْمَائِحُ[1]»، وَأَخْرَجُوا الْجُفَّ، فَإِذَا مُشَاطَةُ رَأْسِ إِنْسَانٍ، وَأَسْنَانٌ مِنْ مُشْطٍ، وَإِذَا وَتَرٌ مَعْقُودٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مُغْرَزَةً بِالْإِبَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وَهُمَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً عَلَى عَدَدِ تِلْكَ الْعُقَدِ، وَأَمَرَ أَنْ يُتَعَوَّذَ بِهِمَا، فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً، حَتَّى انْحَلَّتِ الْعُقْدَةُ الْأَخِيرَةُ، فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، وَقَالَ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. وَجَعَلَ جِبْرِيلُ يَرْقِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: [بِاسْمِ الله أرقيك، من كل شي يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ].

التفسير:

قوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ يعني: قل يا محمد أعتصم وأستعيذ وأستعين بخالق الخلق، والفلق الخلق وأنما سمي الخلق فلقاً لأنهم فُلِقُوا من آبائهم وأمهاتهم ويقال: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ يعني: بخالق الصبح، ويقال: فالق الحب والنوى قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى [الأنعام: ٩٥] وقال فالِقُ الْإِصْباحِ [الأنعام: ٩٦] ويقال الفلق واد في جهنم، ويقال: جب فِي النَّارِ.

[1] بعض نسخ الأصل: (الماتح) بالتاء المثناة من فوق وهو المستقي. من البئر بالدلو. من أعلى البئر. أما المائح بالهمز فهو: الذي يكون في أسفل البئر يملأ الدلو.

وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: «الفَلَقُ شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ فَإِنْ أَرَادَ الله أنْ يُعَذِّبَ الكَافِرَ بِأَشَدِّ العَذَابِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا»مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ قال من الجن والإنس ثم قال عز وجل: وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ يعني: ظلمة الليل إذا دخل سواد الليل في ضوء النهار ويقال: إِذا وَقَبَ يعني: إذا جاء وأدبر، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ يعني: الساحرات المهيجات اللواتي ينفثن في العقدوَقَوله: {وَمن شَرّ حَاسِد إِذا حسد} الْحَسَد هُوَ تمني زَوَال النِّعْمَة عَن الْمُنعم عَلَيْهِ، يعني: كل ذي حسد أراد به لبيد اليهودى .[1]

[1] بحر العلوم السمرقندى ٦٣٧/٣.

الثامن والعشرون :سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)

سبب نزولها: نفس سبب نزول سورة الفلق ، وهي مدنية وقيل مكية والأول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا.

التفسير:

قوله عز وجل: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ إنما خصص الناس بالذّكر، وإن كان رب جميع المحدثات لأنه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس، فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم فإنه هو الذي يعيذهم من شرهم، مَلِكِ النَّاسِ إِلهِ النَّاسِ إنما وصف نفسه أولا: بأنه رب الناس، لأن الرب قد يكون ملكا، وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على أنه ربهم، وملكهم ثم إن الملك لا يكون إلها، فنبه بقوله إِلهِ النَّاسِ على أن الإلهية خاصة بالله سبحانه، وتعالى لا يشاركه فيها أحد، والسبب في تكرير لفظ الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم مِنْ

شَرِّ الْوَسْواسِ يعني الشّيطان ذا الوسواس، والوسوسة الهمز، والصوت الخفي. الْخَنَّاسِ يعني الرجاع من الذي عادته أن يخنس أي يتأخر. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع، والمراد بالصدر القلب مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أي من الشياطين ونفس الإنسان، ويظهر أيضا أن يكون قوله: وَالنَّاسِ، يراد به من يوسوس بخدعه من البشر، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كالشيطان،وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص: ١] والمعوذتين، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، فيبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، ففعل ذلك ثلاثا، وقال قتادة رحمه الله: إن من الناس شياطين ومن الجن شياطين، فتعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن.[١]

[١] المحرر الوجيز :ابن عطية ٥/٥٤٠.

فهرس المصادر والمراجع

أولا القران الكريم

١- البحرالمحيط في التفسير:(أبو حيان) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت: ٧٤٥هـ)تحقيق: صدقي محمد جميل: دار الفكر - بيروت،ط٢ عام١٤٢٠هـ.

٢-التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونس،الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٣- التسهيل لعلوم التنزيل:(ابن جزى الكلبى)أبو القاسم،محمد بن أحمد بن محمد(ت: ٧٤١هـ)،تحقق:د.عبد الله الخالدي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت،ط(١)عام- ١٤١٦هـ.

٤- تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: (الزحيلي) وهبة بن مصطفى،دار الفكر المعاصر- دمشق ، ط (٢)،عام ١٤١٨هـ.

٥- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق:

أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (الثعالبي) أبو زيد عبد الرحمن (ت: ٨٧٥هـ)تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،دار إحياء التراث العربي - بيروت-ط١ ،عام ١٤١٨ هـ .

٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:(السمين الحلبي) أحمد بن يوسف المعروف (ت:٧٥٦هـ)،تحقيق:دأحمد محمد الخراط ط :دار القلم دمشق .

٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:(الزمخشري) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي - بيروت ط(٣)،عام - ١٤٠٧ هـ .

٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (الثعلبى) أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ط(١)،عام ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

١٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:(ابن عطية) أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت: ٥٤٢هـ)تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - بيروت ، ط (١)-عام ١٤٢٢ هـ .

١١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:الواحدى أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد(ت: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت ،ط(١)عام ، ١٤١٥ هـ .

١٢- بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله(ت: ١٣٧٦هـ)تحقيق: عبد الرحمن بن معلا مؤسسة الرسالة ،ط١ عام١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م .

١٤- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .

١٥- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفي سنة (٩١١هـ)تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ط :الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٤هـ .

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن : (أبو جعفر الطبرى) محمد بن جرير بن يزيد (ت: ٣١٠هـ)تحقيق: أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ، ط(١)،عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٧- أنوارالتنزيل وأسرار التأويل: (البيضاوي) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط(١) عام– ١٤١٨هـ .

١٨- صحيح البخاري:البخارى محمد بن إسماعيل أبو عبدالله ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط(١)، عام ١٤٢٢هـ

١٩- صحيح مسلم :مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٠- لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن علاء الدين علي بن محمد (ت: ٧٤١هـ)،تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين دار الكتب العلمية - بيروت ، ط(١)- عام ١٤١٥ هـ .

٢١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (النسفي) أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب دار الكلم الطيب، بيروت ، ط(١)،عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٢٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن: (البغوى) أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد (ت:٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي -بيروت ،ط (١)،عام١٤٢٠ هـ .

٢٣- مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت ،ط(٢) - عام١٤٢٠ هـ .

٢٤-مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

م	المحتوى	رقم الصفحة
١	المقدمة	٣
٢	الفصل الأول : أحكام التجويد	٦٨:٤
٣	الفصل الثانى : دراسة تطبيقية لجزء النبأ (من سورة الأعلى : الناس)	١٧٠:٦٩
٤	فهرس المصادر والمراجع	١٧٥:١٧١